

روايات عبير

sarah

ماري ويبرلي

القرصان

٧٨

العنوان الأصلي لهذه الرواية بالانكليزية
LOGAN'S ISLAND

المراسلات
Harlequin (Cyprus) Ltd
25 Michalakopoulou St.
Athens T.T. 612, Greece

Printed in Great Britain by
Richard Clay (The Chaucer Press) Ltd, Bungay, Suffolk

١ - الاشاعة

اختفت بلدة سانتوس وسط ضباب كثيف. اشاحت هيلين كاربنتر بنظرها عن النافذة لتنظر امامها. انها حقاً في الطريق الى هناك! ولأول مرة منذ ان غادرت انكلترا تفكر هيلين بما هي مقدمة عليه، ولأول مرة ايضاً تشعر ببعض الخوف.

«لم يبق الكثير. ساعة واحدة فقط ونكون هناك».

جاء الصوت انكليزياً جداً وعلى ما يظهر في محاولة لأن يكون لطيفاً.

دارت هيلين برأسها الى محدثها فاذا هي امرأة كانت جالسة قبالتها الى النافذة الأخرى، وابتسمت.

«انها المرة الأولى التي اجيء فيها الى هنا. احس ببعض الوحشة فحسب».

«افهم شعورك».

قالت هذا وقامت من مكانها واتت لتجلس الى جانب هيلين. امرأة في حوالى الأربعين. تلبس ثوباً بسيطاً من الحرير الطبيعي الزاهي الألوان. وهيلين خبيرة بالثياب، فثوب هذه المرأة كلف كثيراً بدون شك!

«اتسمحين لي بالجلوس هنا؟ هذا يجعل الحديث بيننا

اسهل . اني رأيت المنظر مرات كثيرة .

قالت هذا مبتسمة ثم تنفست بعمق .

«اتسكنين في الجزيرة؟» .

استفسرت هيلين .

«اعيش فيها منذ خمس عشرة سنة . اسمي مارشا روس» .

«هيلين كاربنتر» .

قالت هيلين بهدوء منتظرة ردة فعل المرأة لسماع هذا الاسم . وحدث ما توقعت . مرت لحظة صمت ثم قالت المرأة :

«كاربنتر؟ هل تكونين . . . ؟» .

لحظة صمت اخرى .

«هل تكونين قريبة روبيرت كاربنتر ؟» .

«نعم ، ابنته» .

«يا الهي! ارجو المعذرة» .

ووضعت يدها السمراء النحيلة للحظة على ذراع هيلين العارية .

«كان صديقاً طيباً ، طيباً . . . انت تعلمين» .

«نعم ، اعرف . مات منذ ثلاثة اشهر . لهذا انا هنا . انه ترك لي بعض . . . الاشياء» .

اضطربت هيلين قليلاً . لكن سرعان ما استعادت سيطرتها على نفسها . يجب ان لا تخبر شخصاً غريباً ، مهما كان لطيفاً ، انها لم تعرف ان لها والداً يعيش هنا . كل ما عرفته من امها ان والدها مات عندما كانت طفلة صغيرة . ولما عرفت منذ شهر كانت المفاجأة مضاعفة . ليس فقط لمعرفة ان لها والداً عاش

تسعة عشر عاماً في جزيرة كبيرة قرب الشاطئ البرازيلي تدعى «جزيرة الشمس» ، لكن ان تعرف بموته في الوقت الذي عرفت فيه بوجوده ، انه امر لا يحتمل .

عرفت بالأمر منذ بضعة اسابيع هناك في ذلك المكتب القاتم، في احد شوارع لندن الجميلة في مكتب المحامي . وسمعت شيئاً آخر مفاجئاً اذ قال لها المحامي بنبرات جافة :

«ترك لك والدك نصف ممتلكاته : البيت الذي كان يسكنه ، القارب ، وجزيرة اسمها . . .» .

وبدأ المحامي العجوز يقلب الأوراق بين يديه :

«آه . . . ها هي . . . «الها داس تورمينتاس» . . . باللغة البرتغالية . يعني . . . جزيرة العواصف» .

«جزيرة؟» كانت المفاجأة كبيرة . لم تقدر هيلين ان تستوعب ذلك . جزيرة . . . رجل لم تره من قبل ، رجل ظنته ميتاً من زمان . . . يترك لها جزيرة؟

«آنسة كاربنتر ، المضيفة تسألك ان كنت تريدين بعض القهوة؟» .

كلام المرأة الجالسة الى جانب هيلين اعادها الى الحاضر فابتسمت قائلة :

«المعذرة . . نعم ، من فضلك» .

مرت لحظة صمت بعد ذهاب المضيفة . كانت الطائرة صغيرة . ثمانية ركاب فقط . وهيلين ومارشا كانتا تجلسان في المؤخرة .

«من المحزن جداً انك لم تأتي الا عندما . . .» .

انتبهت مارشا انها ربما تعدت حدود اللباقة. شعرت هيلين بالمضايقة. لكنها لم تظهر شيئاً. لقد تعلمت ذلك في مدرسة جنيف الداخلية انها مهما كانت منزعجة او متألمة، لدرجة الدموع، يجب ان لا تظهر شيئاً من ذلك لأي كان.

«نعم... اعرف. اخبرني المحامي ان علي ان ارى شخصاً يدعى السيد لوغان».

من الواضح ان هيلين تغير الموضوع. ومن الواضح ايضاً ان ردة الفعل الغريبة التي صدرت عن المرأة عند ذكر الرجل، لم تكن منتظرة.

«طبعاً، طبعاً».

قالت مارشا بنبرة انزعاج.

«ما الأمر؟ هل هو غائب عن الجزيرة؟».

صدرت ضحكة جافة وقصيرة عن المرأة التي قالت:

«أوه، انه هناك. جيك لوغان بالطبع هناك!».

وادارت مارشا رأسها لتنظر مباشرة الى هيلين:

«هل اخبرك المحامي اي شيء عن لوغان هذا؟».

لا بد ان هناك شيئاً غامضاً. وهيلين ارادت ان تعرف ما هو. فقالت ببطء:

«فقط أنه يملك النصف الآخر من الميراث».

«يا الهي!».

تلك اللحظة جاءت المضيفة بالقهوة. نظرت هيلين الى مكعبات السكر الموضوعة في الصحن. لم تكن تريد ان تخبرها اشياء خاصة كهذه. لكن شيئاً ما في هذه المرأة جعلها تفعل

والمطرة».

قالت مارشا وابتسمت هيلين. لكن الغضب كان ظاهراً في عينيها.

«ليس هذا من شأني... ولكن هذا الرجل لوغان... كلنا احببنا والدك وكنا نحترمه. لكن ما لم استطع فهمه هو كيف سمح لهذا الرجل ان يؤثر عليه بالشكل الذي فعل؟ اكره ان اقول هذا عن رجل ميت. لكن ربما من الأفضل ان اخبرك كل شيء الآن. جيك لوغان رجل منحط. سمعته سيئة جداً خاصة فيما يتعلق بالنساء... وبرغم هذا كله كان والدك يحبه...».

توقفت مارشا عن الكلام لتشرب بعض القهوة ربما تعطيها القوة...

«والآن ها هو يستولي على النصف...».

تطلعت الى هيلين بحزن.

«كم انا آسفة من اجلك يا عزيزتي! انتبهي. سيحاول ان يحصل على النصف الآخر منك. ولا اظنه يهتم كثيراً بالطرق التي يسلكها».

بقيت هيلين صامتة. ثم هزت رأسها. امر لا يصدق وهمست:

«لم اكن اعلم...».

ثم استطردت:

«اعتدى على فتاة من الجزيرة منذ سنتين تدعى سيريتا... كانت في الخامسة عشرة من عمرها حينئذ.

قالت هيلين بهدوء:

«ما ابشع ذلك! المسكينة...».

«لها طفل منه يدعى توبي، طفل جميل عمره سنتان. يعيشان مع اختها المتزوجة. ربّاه كيف كانت سيرينا تلحق جيك اينما ذهب كجرو صغير. كم احبته، المسكينة...».

كانت الصدمة كبيرة. ولم تعد هيلين تهتم باخفاء مشاعرها. استدارت الى المرأة الجالسة بجانبها قائلة:

«غير معقول. تصورت هذا الرجل، لوغان، من عمر والدي. كنت اتشوق لملاقاته وسماع حديثه عن...».

اضطرب صوتها قليلاً... لكنها اكملت:

«عن والدي».

وهزت رأسها بخيبة امل.

قالت مارشا ببعض الرقة:

«ما كان يجب ان اباغتك هكذا. لكن... عندما ذكرت جيك لوغان... هه! احسست انه علي ان احذرك منه... تحذير امرأة لامرأة... تفهمين قصدي!».

«انا شاكرة لك اهتمامك، لا بأس».

واخذت هيلين قطعة بسكويت من الصحن امامها وبدأت تقضمها. كم تمنت في اعماقها لو لم تسمع شيئاً عن هذا المدعو لوغان. احياناً... من الأفضل ان تبقى بعض الأشياء مجهولة.

«هل ينتظرك احد عند المدرج؟».

«لا ادري... كنت اظن انه ربما السيد لوغان...».

صمتت لحظة وبلعت ريقها بصعوبة:

«وما شكله؟».

زمت المرأة شفتيها بشدة.

«ستعرفين عندما ترينه! اسمر، طويل، له جسم رياضي. مع ان نوع الحياة التي يعيشها تجعل الانسان لا يتوقع... في كل حال اظن ان بعض النساء يجدنه جذاباً، تعرفين ما اعني».

وارتعشت قليلاً ونظرت اليها هيلين بسرعة ومرت برأسها لمحة شك عميقة.

«لا احد يعرف الكثير عن الرجل. ولا حتى من اين جاء. ربما كان والدك يعرف. لهجته استرالية بعض الشيء. لكني اراهن ان به دماً اجنبياً، قد يكون برازيلياً، من يدري؟».

ونظرت الى هيلين بحدة:

«كان لأبيك صديق آخر، بيل الز... هل سمعت به؟».

«نعم. ذكره المحامي. هل هو...؟».

وتوقفت هيلين. لا تدري بما تتابع. لكن مارشا دوس ضحكت، وكأنها حزرت.

«لا عليك، بيل رجل طيب، غريب بعض الشيء، ضخم ومندفع، لكنه مستقيم جداً. يعيش مع اخته هنا. لو احببتك كنت محظوظة والا...».

وابتسمت ابتسامة تحمل معاني كثيرة.

«آه، هكذا اذن».

قالت هيلين بلطف. على الأقل هناك من تستطيع الركون اليه. لكن فكرة غريبة خطرت ببالها. لماذا؟ اذا كان جيك

لوغان بي ، السمعة بهذا الشكل، وبيل انز بهذه الطيبة، فلماذا ترك والدها نصف ممتلكاته لبيل ولم يتركها لبنته؟

احست هيلين بالارهاق. رمت رأسها الى الوراء واغمضت عينيها وهي تهمس بلهجة اعتذار:

«اشعر بحاجة لبعض النوم».

«اعرف. حاولي ان تستريحي بضع دقائق».

قالت مارشا وهي تراقب وجه هيلين. عيناها الواسعتان بلونها الأزرق الرمادي مغمضتان. رموشها حريرية طويلة. كم هي جميلة وجذابة ملامح وجهها. شفتاها ممتلئتان وناعمتان، جسمها كله انوثة، شعرها الذهبي مرفوع بشكل جذاب. اخذت مارشا نفساً عميقاً. ترى كيف ستكون ردة فعل لوغان لكل هذا الجمال؟ لكن الأهم كيف ستكون ردة فعل ابنة روبيرت كارتنر هذه؟

القت مارشا رأسها الى الوراء واغمضت عينيها. نعم سيكون الأمر مثيراً. في كل حال فهذه الانكليزية تبدو قادرة على الاهتمام بنفسها. هناك برودة ما... شيء لا يقال حول هذه الانكليزية. واحست مارشا بما يشبه الطعنة في قلبها. كأنه الندم على شيء مضى. عضت على شفتيها. ربما كان من الأفضل ان تنتهي هذه الرحلة بسرعة.

لم يكن هناك مطار كبير، ولا حتى صغير، كل ما كان هناك مدرج واحد في نهاية الجزيرة، حيث ازيلت الاشجار، والى جانبه سقيفة مطلية باللون الأبيض. تقف خارجه بعض السيارات. ورجل... كان الرجل يراقب هبوط الطائرة

ويحمي عينيه من حرارة الشمس بيده. رأت هيلين الرجل واختارت فيمن يكون. رجل كبير ممتلىء، شعره اسود وبشرته بيضاء. كان يدخن غليوناً. تطلعت مارشا من النافذة واشارت الى الرجل:

«انه بيل، جاء لملاقاتك. لا حاجة بك الى سيارة اجرة الآن».

قالت هذا وضحكت.

بعد دقائق، وبينما كانت المرأتان تنزلان السلم الخشبي، تقدم الرجل لملاقاتهما وركز على هيلين عينين زرقاوين:

«آنسة كارتنر. بيل انز».

وصافحها بيدين ضخمتين يغطيهما شعر كثيف. ثم استدار الى مارشا.

«هل نوصلك الى البيت؟».

«كم انت لطيف يا بيل. شكراً. سأحضر حقائبي».

وبينما كانت تستدير لتذهب. نظر بيل الى هيلين وغمز بعينه.

«ستتخلصين من هذه الحرارة قريباً. اختي حضّرت لنا العشاء. ستأتين الى بيتنا، طبعاً».

كان متحمساً جداً فابتسمت له هيلين.

«شكراً يا سيد انز. لطفاً منك ان تأتي لملاقاتي».

«لا تسميني السيد انز. انا بيل وانت هيلين. لا رسميات على هذه الجزيرة. ارجوك. انه اقل ما يمكنني فعله. فانت غريبة هنا كما وانت جيث...».

وتوقف بيل عن الكلام فجأة لأن مارشا وصلت تلك اللحظة. تساءلت هيلين في نفسها عما كان يريد قوله. لكنها لم تتمكن من التفكير بوضوح فالحرارة كانت لا تطاق لدرجة احست معها وكأن ثوبها الأبيض الخفيف مصنوع من الفرو السميك. احست هيلين بالأرض الرملية تهتز وتتراقص تحت اقدامها وهم في الطريق الى سيارة اللاندروفر المتوقفة خلف السقيفة يتبعهم الصبي الأسود حاملاً الحقائب. السماء كانت شديدة الزرقة بلمعان معدني غريب قطعته فراشة اندفعت فجأة في الهواء واخذت تدور في الق ذهبي واحمر.

تنفست هيلين بعمق وقالت:

«لم اتصور ابداً شيئاً كهذا، انه مكان جميل....».

«لكنك ما رأيت شيئاً بعد. انتظري لتري الجزيرة بكاملها. عندها ستقولين ما اجملها بحق».

بيل فخور بجزيرة الشمس: رأت هيلين ذلك بوضوح، كما رأته مارشا. التي تطلعت الى هيلين وابتسمت.

صعدوا الى اللاندروفر وانطلقوا على طريق وعرة. خلفهم بدا المسافرون الآخرون وكأنهم نقطة صغيرة تبتعد شيئاً فشيئاً والى جانبهم على الطريق اندفعت سيارة اجرة كبيرة وقديمة بشكل واضح.

اذن هذا هو المكان. هنا عاش الرجل الذي ما عرفته هيلين، وما عرفت عنه شيئاً. هنا عاش تسعة عشر عاماً. فكرت هيلين بامتعاض وربما بحزن بامها التي تقضي عطلتها الآن في بيرمودا. هيلينا كار الممثلة المشهورة عالمياً، والتي

تزوجت عدة مرات، ولسبب لا يعرفه غيرها، اخبرت هيلين ان والدها ميت. هيلينا التي تقضي الآن شهر عسل مع زوجها الخامس، الآخر على اللائحة. لا تعرف اين هي ابنتها في هذا الوقت. وربما هي لا تهتم بل بالفعل لا تهتم. انها متأنقة وجميلة، لا تعترف بأن عمرها اكثر من واحد وثلاثين عاماً. وتتحاشى ان يعرف احد ان لها ابنتاً عمرها عشرون سنة لذلك نادراً ما اجتمعتا.

تطلعت هيلين بسرعة من النافذة، انقبض وجهها واحست انها من دون معين. عندما كانت طفلة حصلت هيلين على كل ما يتمناه الأطفال، عدا الشيء الوحيد المهم، بل ربما الأهم من كل الاشياء الاخرى في الحياة: الحب. الاجازات التي كانت تأخذها من المدارس الداخلية المترفة كانت تقضيها كلها مع الاقرباء. «لأن امها مشغولة كثيراً». بلغت هيلين ربيعها بصعوبة. الخال فيليب هو من احبته اكثر من الجميع. ثم استدارت الى بيل متذكرة قائلة:

«يجب ان ارسل برقية الى احد الاقرباء».

«سنتوقف عند مكتب البريد. لن يأخذ الأمر اكثر من دقيقة».

كانت الاشجار كثيفة على جانبي الطريق الأصفر المغبر. لم تمر بهم اية سيارة غير سيارة الاجرة القديمة، وصبي على دراجته يتبعه كلب يسيران بتراخ شديد. هناك رقعة برتقالية اللون جذبت انتباه هيلين، فتطلعت لترى شجيرات صغيرة ذات ورق قاتم كثيف تحمل ثمر البرتقال. برتقال! هذه اول مرة ترى

فيها البرتقال على الشجر. من قبل رأته فقط ملفوفاً بالورق مصفوفاً في دكان البقالة. فجأة توضحت الاشياء في عيني هيلين. انها حقاً هنا، على هذه الجزيرة الاستوائية قرب الشاطىء البرازيلي، بعيدة آلاف الأميال عن بيتها. بيتها! هل عرفت بيتاً في حياتها؟ هل سيكون لها بيت يوماً ما؟ بيت تذهب اليه لتجد فيه من يحبها وينتظر عودتها؟ من اين لها ان تعرف! طبعاً كان الخال فيليب دائماً يرحب بها عندما يكون دوره في استقبالها. الخال فيليب شقيق امها الأكبر. كم كان محباً – عكس اخته. وكم قضت معه هيلين اوقاتاً سعيدة. ومنذ ان كبرت وهي تلتجىء اليه للنصح لا لأمها التي ما عرفتها جيداً.

«ها هو بيتك يا مارشا. جاهزة؟».

«نعم، شكراً يا بيل. ما رأيك في النزول لتناول بعض الشراب؟».

«لا ، شكراً. من الأفضل ان لا نتوقف. هالة تنتظرنا وقد حضّرت العشاء. وانت تعرفين. . .».

وهز كتفيه بطريقة تعني الكثير.

فقالت مارشا ضاحكة:

«اعرف».

وبدأت اللاندروفر تبطىء وسط تلك الأشجار. ثم توقفت كلياً مما اتاح لهيلين ان تلقي نظرة سريعة على البناء الأبيض المنخفض المحاط بكل تلك الخضرة.

«هل هناك بيوت اخرى؟».

سألت هيلين مندهشة.

«بضع عشرات. لكن عليك اولاً ان تجدي طريقك وسط الاشجار لتصلي اليها».

اجابها بيل.

«مع السلامة، مارشا».

«مع السلامة. شكراً لتوصيلي. انا سعيدة بمعرفتك يا هيلين. ارجو ان تقومي بزيارتي قريباً».

«شكراً. سأفعل».

راقبها الاثنان تختفي في الممر ثم تابعا السير. بعد انطلاق اللاندروفر قال بيل:

«هل اخبرتك مارشا اي شيء عن هذا المكان؟».

وعرفت هيلين بغريزتها ما يرمي اليه بيل بسؤاله، فوجدت الأمر في منتهى الغرابة واجابته بحذر:

«القليل. اخبرتني انها كانت تحب والدي».

«هذا صحيح. ولوغان؟ ماذا قالت عنه؟».

لقد عرفت انه سيسأل ولم تفاجأ فلماذا تسارعت دقات قلبها؟

«انها لا . . . تحبه كثيراً».

انفجر بيل بضحكة عالية هزت السيارة:

«كم هي مهذبة الطريقة التي تصوغين بها ردك يا آنستي. انها تمقته. كذلك اختي. واكون لك شاكراً اذا امتنعت عن ذكر اسمه في بيتنا هذه الليلة».

تكرهه امرأتان بهذا العنف. كيف اذن تحوم النساء حوله؟ هذا ما فكرت به هيلين وحيّرها.

«وأنت هل تثقين انت ايضاً».

وسألت هيلين بهدوء. ربما كان من الأفضل معرفة ذلك ايضاً من الآن.

«انا؟ لا ابداً، علاقتي به جيدة. لكن...».

ونظر اليها بحدة وقد عقد حاجبيه الكثين...

«انه رجل لا يمكن تجاهله. وربما وجدت له حضوراً طاغياً. لكن ان عاملته بالطريقة الصحيحة لن يكون هناك ما تخشينه».

ترى ماذا يعني بمعاملته بالطريقة الصحيحة، فكرت هيلين بامتعاض. في كل حال ليس بنيتها الا ان تكون مهذبة معه مهما كان هذا صعباً. اخلاقيته او عدمها لا تعنيها. رغم هذا لا بد من الاعتراف ان مفاصلها ترتعد من الخوف عند التفكير بلحظة اللقاء مع هذا الرجل. فقط لو كان بيل الرجل الذي عليها ان تراه من اجل قضية الارث، لأحست بالراحة وكأنها تعرفه من زمن طويل. لكنها سرعان ما نسيت افكارها هذه عندما رأت البيوت امامها والطرقات المتقاطعة من غير تنظيم والعنزة التي كانت تجتاز الطريق امام اللاندروفر والأولاد على دراجاتهم... وامرأة سمينة تربط رأسها بمنديل وتجلس الى جانب الطريق في ظل شجر النخيل العالي. امامها سلة مليئة بالموز...

«انها اكبر قرية. هناك قريتان صغيرتان، وتجمع للهيبيين قريب من هنا. لكن هذه هي المركز الرئيسي للجزيرة».

قال بيل هذا وتطلع الى هيلين ليرى ردة فعلها. في هذا الوقت كانا قد توقفا امام بناء خشبي تكتظ واجهاته الزجاجية بالثياب والطعام المعلب، وادوات الزينة:

«انه رائع... وكأنني في حلم. ان يكون والدي عاش هنا كل تلك السنوات، ولم...».

توقفت وتنهدت بعمق:

«اخبرني كيف كان!»

«رجلاً طيباً، وصديقاً وفياً».

فقالت ببساطة:

«لو عرفت انه كان هنا لأتيت من قبل».

قال بلطف:

«حقاً، يا الهي لم اكن اتصور...».

«اخبرتني امي وانا صغيرة ان والدي مات عندما ولدت. لا ادري لماذا. كانت لها اسبابها. لكنني لا اقدر... لا اقدر...».

كانت هيلين على حافة الانهيار. وضع بيل يده على ذراعها بلطف:

«هيا... هيا... الا تريدين ارسال البرقية؟ هذا السفر الطويل كان مرهقاً بدون شك. انت بحاجة الى ليلة من الراحة والنوم العميق. وغداً صباحاً سترين كل شيء اجمل وافضل، وعندها...».

اكمل كلامه وهو ينزل من اللاندروفر ويسحب غليونه من جيبه ويسير مع هيلين الى مكتب البريد الصغير المظلم.

«شكراً. لا استطيع ان آكل اكثر مما اكلت، حقاً».

وابتسمت هيلين للمرأة الجالسة بجانبها والخالية من اية مسحة جمال. انها هانا اخت بيل تقارب منتصف العمر على ما

يبدو. استقبلت هيلين بشيء من الحذر والخشونة. لكن هيلين وعن قصد منها ارادت ان تكسب هذه المرأة الى جانبها، خصوصاً بعد الذي قاله مارشا عنها. . . وصممت ان لا تفعل او تقول ما قد يؤذي او يزعج هذه المرأة. الى جانب ذلك فعندها سبب آخر اعمق من ذلك. بيل رجل طيب، وقد يصبح صديقاً لها. لذلك يجب ان تحبها هانا، اخته، كي لا يكون الأمر صعباً. ابتسمت هيلين ابتسامة حلوة ودافئة لهذه المرأة الصغيرة النحيلة، عكس اخيها تماماً، وأجابت على كل اسئلتها بهدوء ولطف. وبدأ الثلج بينهما يذوب. والآن. . .

«انها اطيب سلطة فاكهة ذقتها في حياتي!».

قالت هانا اذن، وكان ما قالته صحيحاً. هذا المزيج من الموز الناضج الطازج، والاناناس والبرتقال لذيذ جداً، والكريما الموضوعة فوقه بكرم. . .

«قهوة اذن».

وعلت وجه هانا ابتسامة نادرة فظهر في وجهها شيء جعل هيلين ترى فيه مسحة جمال كانت هناك ذات يوم مضى. واضافت مؤكدة:

«بل ارجوك».

«عليّ ان اذهب لاجد بيتي الجديد، لم اقصد ان ابقى، ارجو ان لا اكون اخذت الكثير من وقتك».

«لا ابداً ليس هناك الكثير لتفعل هنا، ودائماً نرحب بوجه جديد». قالت هانا ذلك وهي تسكب القهوة السوداء من اناء صيني اخضر جميل.

«مع الكريم؟».

«اجل، شكراً».

كان بيتهم مريحاً وفيه برودة هنية في هذا الطقس الخانق. لم يكن فخماً، لكن اثاثه القديم كان بحالة جيدة. وبلاطه الأحمر يلمع من بين قطع السجاد الموضوعة فوقه هنا وهناك. في الخارج كانت العتمة. فالليل في هذا الجزء من العالم يهبط باكراً. الحشرات الكبيرة الراقصة حول النور عكست ظلالا غريبة على السقف.

«ستوصل هيلين بأمان الى بيتها».

قالت هانا هذا ونظرت الى اخيها الذي اوما اليها برأسه.

«طبعاً سأفعل».

«وستحضرها؟».

«نعم يا هانا، لكن ماذا هناك. . .».

«انت تعرف» واشارت الى هيلين بعناد. «بالطبع، تستطيعين قضاء الليل هنا اذا شئت، الى ان تتعرفي على المكان جيداً. هل ستبقين طويلاً في الجزيرة؟».

«لا ادري» اجابت هيلين «اتيت فقط لأرى و. . .».

ابتسمت وهزت كتفيها.

«هناك عمل ينتظرك بالطبع؟».

لم تكن هانا متطفلة. هيلين متأكدة من ذلك فقط بعض التطفل حول هذه القادمة الجديدة الى حلقة هانا الصغيرة. وأجابتها:

«اعمل في مخزن كبير في لندن».

هكذا افضل. عرفت هيلين بغريزتها انها لو اخبرت هانا عن عملها كعارضة أزياء، لعاد الجليد بينها ولما استساغت هانا البسيطة المحافظة مهنة كهذه اذ كان عمل هيلين في معظمه في دار الخال فيليب للأزياء. واكد لها الخال فيليب ان باستطاعتها التغيب عن العمل ما شاءت. فاضافت:

«لدي فرصة شهر للتغيب عن العمل».

«اذن عندك الوقت الكافي للتعرف على الجزيرة. فيها عدد لا بأس به من الانكليز. بعض الاسكوتلنديين، الكثير من البرازيليين والكاثوليك بالطبع».

«ومن يكون هؤلاء؟».

«انهم المنحدرون من اصل برازيلي وزنجي. اذا حصل ان سمعت الموسيقى في منتصف الليل فتكون صادرة عن احد مهرجاناتهم. ستعتادين عليها مع الوقت... هذا اذا بقيت هنا».

«بالطبع».

قامت هيلين وقد احست بأنه يجب ان تذهب الآن. شكرت هانا التي اخبرتها انه بامكانها القدوم للزيارة وقت تشاء. سرت هيلين بهذه الدعوة خصوصاً انها صدرت بصدق وحرارة احست انها بحاجة اليها.

في الخارج سمعت هيلين هانا تنادي بيل مذكرة اياه:

«لا تنس ان تحذر هيلين...».

تجاهل بيل التحذير واخذ ذراع هيلين ليساعدها على السير في الممر المظلم المؤدي الى الطريق العام. انزعجت هيلين كثيراً

من تحذير هانا. وللحظة وسط العتمة الدافئة، عضت على شفتها بقوة.

ضحك بيل وقال:

«هانا لا تأتمن لوغان وتبالغ في ذلك. اظنك حزرته».

«ولماذا تريدك ان تحذرني منه؟».

«بالطبع انت لا تعلمين... بيته ملاصق لبيتك».

فوجئت هيلين وتوقفت عن السير.

«بيته ملاصق لبيت والدي... البيت الذي سأقيم فيه؟».

«نعم».

«هكذا اذن. هل هناك بيوت اخرى؟».

«لا. بيتك وبيته لا غير. الحديقة مشتركة والاشجار الكثيفة تحيط بالبيتين. لهذا ارادتك هانا ان تقضي الليل عندنا. تحسباً من لوغان...».

«لا بأس. لا تقلق».

حاولت هيلين ان تكون طبيعية لكن شيئاً ما انقبض في داخلها.

«وله نصف البيت الذي سأقيم فيه، طبعاً؟».

«نعم، هكذا تقول وصية والدك».

«وقد يكون لديه مفتاح؟».

ارادت ان يكون صوتها هادئاً. لكنها الآن تتمنى لو قبلت دعوة هانا لها بقضاء الليل عندها.

«ربما لا»، قال بيل بصوت يائس، ثم تابع «ما الذي يمكن قوله الآن؟ ماريا وهانا لا تطيقانه. لا الومك على

تصديقها. . .».

واكملا السير في ممر مظلم لم يصله ضوء القمر بسبب تشابك اغصان الشجر حوله. شعرت هيلين بالرهشة بينما كان بيل يحاول ازاحة الاغصان وفتح الطريق امامها. . .

«حبك ليس كما تظنين. . وانا متأكد انه لن يجرؤ بل لن يحلم ابداً بـ. . .».

لكنه لم يعرف ان هيلين على علم بما جرى لتلك الفتاة ذات الخمسة عشر عاماً. مسكينة.

«ارجو المعذرة يا بيل. كل ما هنالك انني متعبة بعد الرحلة، لست عابئة بهذه الحماقة».

بدأت معالم البيت امامها تظهر، ضوء القمر على حيطانه البيضاء رسم خيالات غريبة وعتيقة. كان المفتاح مع بيل فقد احضر الحقائب الى البيت بينما كانت هيلين تتمشى مع اخته هانا. وضع بيل المفتاح في القفل واداره. دخلا البيت واضاء بيل النور.

استقبلتها رائحة عفونة في البيت اذ لم يستعمله احد منذ وقت طويل. مع ذلك تصورت هيلين كم سيكون جميلاً في النهار. اثاثه من الخشب الفاتح اللون، موزع توزيعاً جميلاً بدون تكديس. وكم هي جميلة السجادة المزخرفة المعلقة على الجدار الأبيض! أرضه من الخشب الداكن الجميل، وقبضات الأبواب الثلاثة ذات اللون الأبيض التي استطاعت هيلين رؤيتها، محفورة من النحاس وجميلة جداً.

أحست كأن شيئاً ما يملأ فضاء البيت، شيئاً من الرجل الذي

كان يسكنه. . . واخذت هيلين نفساً عميقاً واعترفت لنفسها انه مهما حدث فقد كانت محقة في المجيء الى هنا وليست نادمة. كان اصرار الخال فيليب على مجيئها في محله تماماً كما هي الحال دائماً مع الخال العزيز.

«شكراً بيل».

قالت بهدوء وهي تنظر الى حقائبها الموضوعة على الأرض قرب احد الأبواب الثلاثة.

«تلك غرفة نومك. هانا جهزت لك الفراش. هناك جهاز تبريد لأيام الصيف الخانقة، لا اظنك تحتاجين اليه الليلة. دعيني اريك بقية البيت، فلن يطول ذلك».

دخل بيل مع هيلين كل الغرف والمطبخ والحمام وأراها مكان مفاتيح النور وصنابير الماء. ثم اخذ حقائبها الى غرفة النوم واغلق خشب النافذة. عندما انتهى من كل ذلك استدار ونظر الى هيلين قائلاً:

«أما زلت لا تريدين العودة وقضاء الليل في بيتنا؟ هانا ستكون. . .».

لم تدعه يكمل حديثه:

«لا. شكراً يا بيل».

وابتسمت رافعة ذقنها الى اعلى بكبرياء:

«سأتدبر امري. انا معتادة على مواجهة كل الأمور وحدي وسأكون بخير، فلا تخش شيئاً».

كم كانت عيناها الزرقاوان المائلتان الى اللون الرمادي صافيتين وجميلتين، رأى بيل كل ذلك واطال النظر اليها بتقدير

جعل عينيه هو تلمعان.

«طبعاً. انا متأكد من ذلك. لكن اذا احتجت الي...».

واشار برأسه الى جهاز الهاتف الأبيض الموضوع على طاولة جميلة بجانب غرفة النوم:

«استعمليه. سأعطيك رقم هاتفي».

ومشى بعده باتجاه الجهاز باحثاً في جيوبه عن ورقة وقلم.

«تعالي لأريك كيف تستعملينه. ترفعين السماعة، وتضغطين على هذا الزر حتى تجيبك عاملة الهاتف وتعطينها الرقم. وان لم تفهم قولك اذكري اسمي فقط. حسناً؟».

«نعم. اشكرك يا بيل».

راقبته هيلين وهو يبتعد في الممر ثم يختفي في العتمة. دخلت واقفلت الباب واضعة المزلاج في مكانه بحرص شديد. ازلت الستائر في غرفة الجلوس ودخلت غرفتها مصممة ان لا تفكر في شيء مما حدث فهي متعبة وتريد ان تأوي الى فراشها. فقط تريد ان تشرب شيئاً قبل النوم.

اراها بيل قبل ذهابه الأشياء التي احضرها لها والتي رفض بشدة ان يأخذ ثمنها. قهوة، شاي، سكر وحليب. كذلك احضر لها الخبز والزبدة والجبن وبعض الفاكهة الطازجة. جميل منه ان يفكر بذلك او ربما كانت هانا من حضر لها هذه الأشياء؟ كم هي مرتاحة لها وخاصة هانا التي اظهرت لها وداً صادقاً.

اكملت ترتيب ثيابها وتعليقها في الخزانة وسارت باتجاه المطبخ.

جمدت في مكانها. ما هذا؟ طرقة عنيفة على الباب. من تراه

يكون؟ وبسرعة تطلعت باتجاه الهاتف كأنها لتتأكد انه ما زال في مكانه، لكن لماذا الخوف، قد يكون بيل نسي شيئاً.

طبعاً انه بيل.

وتعبت صوب الباب المقفل:

«بيل؟».

سألت بنوع من الرجاء.

«لا. آنسة كاربنتر. اسمي لوغان، جيك لوغان».

جاء الجواب واحست هيلين بجفاف في حلقها. فماذا تفعل؟

«كنت ذاهبة الى النوم».

كان كل ما استطاعت التفوه به.

«لن امكث لحظة. فقط اريد ان اعطيك المفتاح».

لم يكن لها الخيار، ربما كان من الأفضل المواجهة الآن. مدت هيلين يدها المرتجفة وفتحت الباب.

٢ - الرجل

لم تكن هيلين قصيرة القامة ومع ذلك اضطرت للتطلع الى اعلى لترى الرجل الواقف امامها والمتكىء بشيء من اللامبالاة على حافة الباب.

كان قلبها يخفق بسرعة لرؤية هذا الرجل الرهيب اخيراً... الرجل الذي سمعت عنه كل تلك الاخبار المقلقة.

وعبر المسافة القصيرة التي تفصل بينهما التقت عيناها بعينيه، وارتجفت ركبتا هيلين من الصدمة. هذا اسوأ، اسوأ بكثير مما توقعت. وكأنها في مواجهة فرعون! كان عليها التمسك بشدة لمقاومة رغبتها الغريزية باغلاق الباب في وجهه.

طوله اكثر من ستة اقدام، أكتافه عريضة، شعره الأسود اللامع صقيل، وكأنه كان يسبح قبل مجيئه الى هذا المكان... ربما... فمه حسن التكوين شهواني عليه مسحة قسوة. ثم تلك العنجهية، تلك الثقة الكبيرة بالنفس والتي جعلت القشعريرة تسري في جسمها. كان يضع رقعة سوداء فوق عينه اليمنى وكأنها اللمسة الأخيرة لرسم تلك الصورة المخيفة، فوق هذا كله تلك البسمة الساخرة السريعة وكأنه كان يعرف...

«هل سأدعى للدخول ام لا؟».

كم ارادت ان تقول لا. لكنها تراجعت الى الوراء فاتحة الباب على مصراعيه حتى بعد ان اصبح الرجل في الداخل تركت الباب مفتوحاً. استدار اليها وقال:

«لا تخشي شيئاً. لن يطول بقائي. لكن طبعاً... يجب ترك الباب مفتوحاً، هذا احسن!».

كان صوته عميقاً، وبه بحة خفيفة... باختصار كان هذا صوته... رغماً عنها احست برعشة ما. هذا الصوت المليء بالتحدي والذي يخفي وراء اي كلام يلوكه شيئاً ما وكأنه يقول: «اعرف تماماً انك سمعت عني كل شيء، لكن الحقيقة اني لا ابالي مطلقاً بذلك».

وبالفعل كان منظره يوحي بانه لا يعير ادنى اهتمام لآراء الغير فيه. اخرج المفتاح ووضعه على الطاولة.

«هناك الكثير من الأمور التي يجب بحثها. لكن ليس الليلة فأنت متعبة كثيراً بعد كل هذا السفر».

لكن لماذا احست هيلين بالاهانة في كلامه؟

«بالفعل» اجابته ببرود. «ربما غداً».

«بالتأكيد». واحنى رأسه موافقاً. «جئت ايضاً لأخبرك اني اسكن في البيت المجاور اذا احتجت اي شيء».

«لطيف منك ذلك».

وبدأت هيلين تعود الى اتزانها الطبيعي حتى انها استطاعت ان تبتسم لهذا الرجل.

«ولكن بيل... السيد اتز واخته كانا لطيفين جداً واحضرا بعض الطعام».

«نعم، أعرف ذلك». تمهل قليلاً ثم قال: «انها جزيرة هادئة. لكن إن أزعجك شيء، فاخبريني فأسمعك».

وقفت بدون حراك. بالطبع لا تستطيع اخباره بأن خوفها الوحيد الى الآن كان منه هو.

«أشكرك يا سيد لوغان، لكني استطيع تدبير امري».

قالت بهدوء. ونظر الرجل اليها بتلك العين الواحدة ذات اللون البني الداكن نظرة كلها برودة. وبرزت بسمة خفيفة على وجهه:

«وانا اكيد من ذلك، تصبحين على خير».

انسحب بهدوء مغلقاً الباب خلفه قبل ان تتمكن هيلين من التحرك لتفعل ذلك وبقيت جامدة في مكانها. تلك الابتسامة الساخرة بقيت معها. هذا النفور السريع المتبادل. الجو المشحون منذ دخل والذي بدون شك شعر به هو ايضاً، ما زال يملأ فضاء الغرفة.

اقفلت هيلين الباب. لكن من قال انه لا يملك مفتاحاً آخر. ولكثرة اضطرابها لم يخطر ببالها انه ليس بحاجة لاقتحام البيت عليها. هذا الرجل لم يظهر ادنى اهتمام بها كامرأة ولم يظهر عليه مطلقاً انه وجدها جذابة او جميلة. استغرقت هيلين في التفكير. تلك كانت حقاً تجربة جديدة وغريبة.

كانت معتادة على التعبير الصريح عن اعجاب الرجال بها، تتلقاه دون حرج ولا غرور منذ كانت في الخامسة عشرة من عمرها وبعد ان تحولت من تلك الفتاة الصغيرة المكتنزة الى المرأة الجذابة ذات القوام الجميل والأنوثة الصارخة. لكن هذا

الرجل الكامل الرجولة المعتد بنفسه تصرف معها وكأنه امام فتاة صغيرة او ربما غلام لا يثير فيه اية رغبة!

تطلعت هيلين الى وجهها في المرآة. واحست ببعض الراحة لموقفه هذا. مجرد التصور فقط بأن هذا الرجل يريد لمسها يبعث بالقشعريرة في جسمها كله. وتذكرت الفتاة الصغيرة... انها الآن في السابعة عشرة وطفلها من هذا الرجل في الثانية من عمره وارتجفت. اي نوع من الرجال هو؟ وظنت انها بدأت تعرف.

نامت هيلين بعمق تلك الليلة، واستفاقت على صوت جرس كنيسة آت من بعيد. ما أجمل صوت اليف يذكرها بوطنها. ما ابعدها عن وطنها الآن.

اعتدلت هيلين في فراشها وتثاءبت بكسل، ثم تذكرت جارها. عليها ان تراه اليوم ايضاً. عادت اليها كلمات مارشا محذرة اياها انه سيحاول بكل الطرق انتزاع نصف التركة الآخر منها. هل يعقل ذلك؟ هل يكون الرجل شريراً الى هذه الدرجة؟ لكن بيل... بيل ليس غبياً ومع ذلك لم يحاول تحذيرها منه مع ان اخته كانت تصر على ذلك.

قامت من فراشها، اغتسلت ولبست فستاناً خفيفاً من القطن بدون اكمام. انه فستان بسيط جداً بلونه الأزرق الفاتح. منظره كان بسيطاً اما ثمنه...!

لم تكن عند هيلين اية مشكلة بالنسبة الى المال. كانت امها كريمة جداً معها بهذا الخصوص عندما كانت هيلين صغيرة. والآن هي تكسب الكثير من عملها كعارضة ازياء. والخال

فيليب الغني جداً يعطيها كل الثياب التي تقوم بعرضها حتى امتلأت خزائن ثيابها المكتظة في لندن.

وضعت هيلين بعض احمر الشفاه على شفتيها الرقيقتين، ورفعت شعرها الجميل الى اعلى. كان هذا احد تأثيرات امها القليلة عليها والتي كانت كلما رأتها تلقي عليها محاضرة بأن السيدات المحترمات لا يتركن شعرهن سائباً. يجب رفعه دائماً. هيلينا كلارك امها، قالت لها هذا وهي في السادسة عشرة من عمرها عندما رأت خصلات شعر هيلين الذهبية الجميلة متدلية على كتفيها. «هذا مبتذل، يا عزيزتي».

ومنذ ذلك الوقت لم تترك هيلين شعرها يتدلى ابداً.

ذهبت هيلين الى المطبخ وحضرت بعض القهوة والخبز المحمص. ثم اتجهت الى النافذة. كل هذا الاخضرار الجميل. الأشجار المحملة بالفاكهة الغريبة الشكل. وفجأة علقت عيناها بالنافذة المواجهة.

جمدت هيلين في مكانها. لقد رأته هناك قرب النافذة. رأته للحظة واحدة اختفى بعدها. رأت صدره العاري المغطى بالشعر الكثيف. رأت عضلاته القوية. كان عارياً حتى وسطه. وركضت هيلين بعيداً عن النافذة. لكن الأفظع من كل ذلك انه لم يكن يضع تلك الرقعة السوداء على عينه اليمنى. وكان المنظر مخيفاً. الآن عرفت هيلين سر تلك الرقعة البشعة. لقد كان منظر عينه رهيباً، متورمة وزرقاء فلا بد انه استحقها في عراك مع احدهم. كم تكره العنف. واحست بموجة من القرف ترجف في معدتها. لكن لماذا لم تخبرها مارشا بذلك؟ ربما لم تكن

تعرف بتلك الحادثة. ما ابغضه، لو تعرف فقط ما الذي جعل والدها يحبه بهذا الشكل!

وجاء القرع على الباب بعد قليل. كانت هيلين جاهزة لاستقباله.

«تفضل».

جاءت كلماته الأولى غير متوقعة. لا بأس عليها ان تعتاد على وقاحته وقلة تهذيبه. لكنه فاجأها:

«اعتذر عن الاحراج الذي سببته لك منذ قليل، لكني نسيت ان عندي جارة».

بسبب الصدمة هيلين. بعض الأشياء يجب ان لتنس لكنه خال من اللباقة على ما يظهر.

تطلعت اليه:

«لم تحرجني». قالت بهدوء: «تفضل واجلس».

رمقها ببرودة وقال وكأنه يتسلى:

«نهضت لتوي من الفراش وافضل الوقوف. جئت لأرى ان كنت تودين رؤية الـ... قاربنا».

قال ذلك بتعمد.

«اجل. متى؟ الآن؟».

وهز كتفيه:

«اي وقت تشائين».

لم يكن مهتماً كثيراً كان ذلك واضحاً. كم يخيفها. شعرت وكأنه نفذ لأفكارها وكأنه معصر بكل نظرة اليها وبكل كلمة يقولها ان يوضح لها انها لا تعنيه في شيء، وانه لا يأبه لها ولا

يستسيغ وجودها. اخافها ذلك. ليس له الحق في كرهها... ام هل العكس صحيح؟

كان هناك ما هو اسوأ. سألها وهما يخرجان:

«الى متى انت باقية هنا؟».

«لا اعرف. لماذا؟».

والشعر بدنها. لم تشعر في حياتها كلها بعداء سريع نحو اي كان، لكن هذا الرجل... لازعجها ذلك كثيراً فهي تؤمن بالسيطرة على العواطف القوية. خصوصاً عاطفة الكره.

هز لوغان كتفيه بلا مبالاة. كانا يسيران في الاتجاه المعاكس للطريق التي سارت عليها مع بيل الليلة الفائتة:

«فقط اتساءل ان كنت تنوين العيش هنا».

لم تكن تخطط لجوابها لكنه صدر عنها في اي حال!

«ربما، انا احببت المكان».

وتطلعت اليه. كانا يسيران في ممر واسع تحيط به الاشجار الكثيفة مظللة اياه من حرارة الشمس وتاركة المجال لهواء بارد منعش. كان الرجل يلبس الجينز كالليلة الفائتة وينتعل صندلاً من الكتان، وتلك الرقعة السوداء على عينه. سألته:

«لماذا تغطي عينك. اليس من الافضل تركها فالهواء يساعد على شفائها بسرعة؟».

«حقاً؟ غطيتها من اجلك. ظننت ان منظرها سيسبب لك صدمة».

كانت السخرية الجافة واضحة في ذلك الصوت العميق المبحوح الذي لم تحبه هيلين.

«رأيت مثل هذا المنظر من قبل».

«طبعاً. ثم انا متأكد ان مارشا وهانا لم تتركا الفرصة تمر بدون اخبارك كم انا شرير وطاغية لذلك لم تفاجأي بي! اليس كذلك؟».

رمقته بنظرة سريعة وحذرة. انفجر ضاحكاً وكانت دهشتها كبيرة برؤية اسنانه البيضاء السليمة. هو المعتاد على العراك والمشاجرة مع الغير.

رأى نظرتها اليه وهز رأسه:

«تصلك اشياء كثيرة. مارشا كانت معك في الطائرة. ثم لا بد ان هانا اضافت كل ما عندها تلك الليلة. لذلك لا ألومك على الطريقة التي تنظرين بها الي وكأني مخلوق عجيب. من المؤسف ان بعض الناس لا يكفون عن التدخل في شؤون الغير».

توقفت هيلين عن السير واستدارت اليه سائلة:

«هل اكملت حديثك؟».

«اظن ذلك. لماذا؟».

وظهرت القسوة في وجهه.

«لا اظنه يعنيك مع من اتكلم او ماذا يقال لي. ولن اخبرك شيئاً. توقف عن تصيد الاخبار».

كان لوغان يقف مواجهاً لها مبعداً احدى قدميه عن الاخرى في وضع من يهم بالحركة، تحيط به قوة غريبة تدريجة احست معها هيلين بالرغبة في الهرب. لكن هذا مستحيل. ليست لديها النية ان تجعله يعرف كيف تشعر واخذت تحدق به بحدة بعينيها

الصافيتين الجميلتين. ورآه يبتسم بسمة شريرة. ويشير برأسه:

«هذا افضل. كنت اشك انك قادرة على بعض ردات الفعل البشرية. جيد . . . جيداً».

«ماذا تعني؟».

لن يسمعها احد او يراها. لم يكن يحيط بها سوى الاشجار الكثيفة، حتى البيت لم تعد تراه. وكأنها وسط غابة استوائية. فقط اصوات الطيور الآتية من اعالي الشجر مما زاد شعورها بالوحدة والانقطاع عن العالم.

«اظنك تعرفين ما اعني. هل انت دائماً بهذا الترفع اللعين؟».

«انت تهينني يا سيد لوغان. هل سنرى القارب ام لا؟».

«اجل، لم العجلة؟ لا احد في عجلة من امره على هذه الجزيرة. ستكتشفين ذلك بنفسك ان اطلت المكوث».

«كم انت متشوق لمعرفة مدة اقامتي هنا».

وبدأت علامات الغضب تظهر عليها، وتدافع اللون الأحمر الى خديها:

«اظنك ستخبرني بعد لحظة انه ما كان يجب علي ان آتي الى هنا».

«ربما. في كل حال، تأخرت في المجيء بعض الشيء، أليس كذلك؟».

اختفى اللون من وجهها بفعل الصدمة:

«من الأفضل لك ان تفسر ذلك يا سيد لوغان».

قالت بحدة ووضوح.

«تعرفين ما اعني بالضبط. كان والدك هنا لثمانية عشر عاماً قبل وفاته. لم يكن باستطاعتك المجيء لرؤيته قبل ان يموت. لذلك لا اجد من اللياقة ان تهرعي الى هنا الآن، وبعد وفاته مباشرة».

كانت كلماته فظة وقاسية وقعت على هيلين وقع الصفعة. لم تفهِ بكلمة، ثم عندما استطاعت ان تفتح فمها، جاء صوتها مرتجفاً.

«لن اغفر لك ابداً ذلك. ثم كيف تجرؤ على التحدث الي هكذا؟».

«اجرؤ على ذلك لأن والدك كان صديقي، ولأني كنت اقدّره كثيراً. كان رجلاً وحيداً. رسالة من ابنته كانت ستشعره بالكثير من السعادة. لكنك لم تهتمي ابداً. لم يخطر ببالك ان ترسلي له رسالة واحدة. وها انت الآن تهرعين الى هنا فقط لأنك علمت انه ترك لك بعض الاشياء».

كانت الصدمة كبيرة على هيلين. لم يحدثها احد في حياتها بهذه الطريقة او بهذه اللهجة. كان الجرح عميقاً. حاولت الاجابة بهدوء:

«لا يمكنني الكتابة لرجل لم اعرف انه كان على قيد الحياة. لم اعرف ان لي اباً الا عند فوات الأوان».

نظر اليها جيك لوغان نظرة طويلة وقاسية:

«لا اصدق ذلك».

قال بوقاحة. عندها قامت هيلين بعمل لم تفعل مثله في

حياتها كلها. رفعت يدها وصفعت الرجل على وجهه بكل قوتها.

لم يقل كلمة. فقط ادار ظهره وسار مبتعداً عنها. للحظة بقيت هيلين جامدة مكانها ويدها تتدلى الى جانبها. يدها التي صفعته بها. ثم هرولت خلفه لأنها ادركت انها ان لم تلحق به الآن لما عرفت كيف تتصرف فيما بعد. كان يشد على قبضتي يديه بقوة وغضب، حتى ظهره بدا لها غاضباً. لكنها لم تعد خائفة فقد عرفت الآن سبب نفوره منها.

عندما لحقت به كان قد خرج الى الطرف الآخر للممر. وقفت هيلين مكانها ناسية كل ما حدث امام المنظر الرائع الممتد امامها: شاطىء رملي بلون الذهب يمتد الى مسافة ميل تقريباً لجهة اليمين. في نهايته مجموعة من البيوت الجميلة. الى يسارها منطقة صخرية عالية تقود الى البحر الأزرق الهادىء وزبده الأبيض الجميل. على رصيفه الخشبي كانت ترسو قوارب عدة تعلو وتنخفض برتابة ولطف.

لم يكن احد هناك. النوارس وحدها تحلق في السماء اللامعة. تدور وتغطس وهي ترعق. توقف جيك لوغان ايضاً وكأنه يعرف تأثير هذا المنظر على هيلين. لم ينظر اليها، انتظرها فقط. برغم كلماته القاسية شعرت هيلين بالندم لفعلتها وهي التي طالما احتقرت العنف... كيف فعلت ما فعلت!

ثم تكلم وجاء صوته متوتراً.

«هنالك». واشار الى ابعد قارب وها هو. تطلعت هيلين باتجاه القارب وقرأت الكلمات المدهونة على جانبه «بريكسا دو

مار».

قال وكأنه يقرأ افكارها:

«يدعى جنية البحر. هيا، سوف...».

عندما قاطعه صوت يصرخ:

«جيك.. جيك!».

نظرت هيلين حولها لترى ما ظهر لها كثلاثة اطفال يركضون من جهة البيوت الصغيرة باتجاهها. صبيان صغيران تتبعهما فتاة اكبر بقليل وعندما اقتربوا ابطأت الفتاة في سيرها وبدت وكأنها تجر رجليها جراً. كانت عيناها على هيلين. وادركت هيلين انها لم تكن طفلة بل امرأة شابة. وشيء ما في داخلها جعلها تفطن من تكون.

انحنى جيك واخذ الطفلين بين ذراعيه وبدأ يتحدث اليهما بلغة غريبة لا بد انها اللغة البرتغالية. كان يضحك وكأنه لم يكن لوغان الذي عرفته هيلين.

خاطب الفتاة قائلاً:

«سيرينا، ما الذي تفعلينه هنا؟».

كانت لهجته عادية جداً وكأنه يحدث اخته واحست هيلين بتقزز في داخلها. في اي حال، ليس هذا من شأنها. لكن اين الطفلين ابنه؟ وتطلعت اليهما وقد انزلهما جيك الى الرمل الذهبي الجاف.

كان الطفلان عاتمي الجسم وقد اعطتهما الشمس لوناً برونزياً غامقاً. الأول عمره يقارب الخمس سنوات. اشقر الشعر له عينان زرقاوان جميلتان. الثاني اصغر منه. لون عينيه

بني غامق ربما كان عمره سنتين. وخفق قلب هيلين. لقد عرفت. وتأكدت اكثر عندما لمس جيك رأس الصغير قائلاً:

«سيرينا لم لا يلبس توني قبعة؟».

هزت الفتاة كتفيها قائلة:

«رماها».

وتطلعت الى هيلين بحياء وكأنها تتساءل عماذا تفكر هذه الفتاة الانكليزية وهي تستمع اليها تتحدث بلغتها. ابتسمت لها هيلين. انها صغيرة ورقيقة واحست بدفق دافىء تجاهها. انها ليست اكبر بكثير من طفلة، ومع ذلك هذا الطفل الصغير ابنها.

«اذن عليك اجباره على ذلك. انت امه ويجب ان يفعل ما تطلبينه منه».

ثم قال شيئاً ما بحدة للطفل، الذي رفع رأسه اليه ضاحكاً، ثم عض على شفته عندما رأى الغضب على وجه جيك. وتذكر جيك شيئاً:

«اقدم لك سيرينا خارسيا. تسكن في القرية قرب بيل راخته. سيرينا، هذه الآنسة كاريتر من انكلترا. سلمي عليها».

«مرحباً».

قالت سيرينا بحياء وابتسمت لهيلين بعذوبة.

«مرحباً، سيرينا».

كانت عيناها واسعتين وداكنتين، وشعرها بلون الذهب، تقريباً مثل شعر هيلين. مزيج لوني جذاب وغير عادي. كان

هناك شيء مألوف في هذا الوجه. لكن هيلين لم تستطع تحديده. احست بالحيرة وسيعاودها هذا الشعور غير مرة بدون ان تعرف له تفسيراً. تحول اهتمامها الى الطفلين وهما يضحكان ويصرخان ويركضان حول الكبار الثلاثة. حاولت هيلين التركيز عليهما لتبعد انتباهها عن جيك الذي كان يتحدث الى سيرينا بلهجة خالية تماماً من القسوة او المرارة. سقط الصبي الكبير على الارض. وكانت هيلين قريبة منه فانحنت وساعدته على الوقوف، ثم نفضت الغبار عن ثيابه فانطلق راكضاً. عندها قال جيك:

«نحن ذاهبان الى القارب، لا تسمحي لهما بالنزول الى البحر اليوم فالمد قوي. هل سمعتني يا سيرينا؟».

«سمعتك يا جيك». ونظرت اليه بتحد ثم ابتسمت: «سأراك الليلة . . . ها؟».

«ربما، الى اللقاء».

استدار وبدأ بالسير. لحقت به هيلين بعد ان ابتسمت للفتاة. كانت سيرينا تلبس قميصاً ازرق بدون اكمام وتمشي حافية. وتلك النظرة الحزينة والشعور بالخذلان الذي ارتسم على وجهها وهي تراقب جيك يبتعد ستبقى في ذاكرة هيلين لوقت طويل.

لم تكن هيلين تعرف من قبل معنى ان يكره الانسان شخصاً ما، انه شعور مزعج وجديد. لوغان يكرهها لأنه يظنها انسانة جشعة وصائدة ثروات، لكن ذلك لا يقارن بالشعور الذي تحمله هي له. انها تمقته. تمقت الطريقة العادية التي عامل بها

تلك الفتاة التي كان شريراً معها يوماً ما. وربما لا يزال. تبعته هيلين على رصيف الميناء الخشبي الخشن حتى وصل الى «جنية البحر» وقفز بخفة على ظهر المركب. وقف ينتظر هيلين، التي قاست المسافة بعينيها وقفزت فتلقاها حيث لافاً ذراعيه حول خصرها. شعرت هيلين بقوة ذراعي الرجل للحظة ثم انتفضت محررة نفسها منه وابتعدت وهي تتنفس بصعوبة.

جاء صوته كلسعة السوط:

«كان عليك ان تخبريني انك لم تريدي مساعدتي».

«لم اكن اعلم انك ستفعل».

اجابت بدون ادنى محاولة لاخفاء الكره في عينيها. وانا بوجهه ينقبض:

«من الذي اخبرك؟».

«اخبرني ماذا؟».

«انها كانت تعرف».

«لقد رأيت الطريقة التي كنت تنظرين بها الينا على الشاطىء. كان ما تفكرين به واضحاً في عينيك. من منهما اخبرتك عن سيرينا، مارشا ام هنا؟».

«لن اخبرك».

«وتعرفين ايضاً انهم يزعمون اني والد تيري، اليس كذلك؟».

«اليس والده؟».

ابتسم بقلق:

«وهل تصدقين ان قلت عكس ذلك؟».

«ولا لن اصدقك».

«بالطبع تعرفين اني لن اصفعك على وجهك ان قلت اني كاذب. في كل حال تعادلنا الآن حسبما اعتقد».

«ربما... هذا شأنك».

واستدارت وجهها متظاهرة بلامبالاة لم تكن تشعر بها.

«من هو الصبي الآخر؟».

«باولو؟ ابن اخت سيرينا. فهي تعيش مع اختها وزوجها».

لم تعد هيلين تستطيع السيطرة على نفسها. خرجت الكلمات من فمها رغماً عنها.

«الا يهمك احد؟».

صرخت. طبعاً فهم قصدها ولم يكن بحاجة للسؤال. حدق بها برهة. ثم قال بصوت مختلف عن صوته العادي:

«ربما اهتم اكثر مما تعتقدين وبطرق عديدة... لكن...»

وهز كتفيه بمرارة... «كما كنت تقولين، ليس هذا من شأنك. هل تريدين التجول في المركب؟».

«نعم».

وانتقل الموضوع. كان الجليد بينهما رقيقاً وخطراً، وان كانا يحاولان التعامل معاً بطريقة مهذبة يجب ان يتجنبا التحدث في اشياء كثيرة. عرفت هيلين ان عليها التحكم بكراهيتها المتزايدة لهذا الرجل الذي احبه والدها لدرجة جعلته يترك له نصف املاكه. والا ستكون الحياة على هذه الجزيرة، وقرب هذا الرجل الكريه الغامض، غير محتملة. حاولت هيلين ذلك

بجاذبية. وربما احس جيك لو فات بذلك فقد اختلف تعرفه معها اختلافاً ملحوظاً وهو يريها المركب بحجرته المرتبة التي تحتوي على سريرين صغيرين وعدة خزائن من الخشب البني المصقول. ومطبخ. وحمام صغير. ونوافذ كبيرة ذات ستائر حمراء مطوية، الى الخلف بسلاسل جميلة.

بعد ان رأت هيلين غرفة القيادة وكل تلك الآلات المصفوفة فيها وجهاز البث والاستقبال اللاسلكي. رجعا الى الحجرة. كانت ممتازة جداً. وعرفت كم يصعب على هذا الرجل مشاركة مركب جميل كهذا مع اي كان. هل تراه شعر بخيبة امل عندما علم ان روبرت كاربنتر ابنة. ربما. لكنها لن تستطيع ان تسأله. بعض الأشياء يجب ان تبقى من المحرمات ان كانا سيتوصلان الى هدنة من اي نوع. وهذا السؤال احد المحرمات. اشار جيك الى احد السريرين قائلاً:

«اجلسي. سأصنع القهوة، لكن الحليب ليس طازجاً».

«لا بأس. شكراً».

وجلست. كان السرير مريحاً وطرياً جداً لدرجة الاغراء بالاستلقاء. راقبته وهو يذهب الى المطبخ حانياً رأسه بعض الشيء ليستطيع الدخول من بابه المنخفض. كانت تسمع صوت تحركه هناك. ثم طرطقة ملاعق واشتعال الغاز وبعد قليل صوت الابريق يصفر قليلاً ثم يعلو ويعلو صوته ليتوقف فجأة عندما اطفأ جيك النار تحته. ثم جاء بقدحين ووضعهما على الطاولة.

«الآن باستطاعتنا ان نتكلم، أتدخنين؟».

هيلين لا تدخن عادة. لكنها الآن احست بحاجة لشيء ما:

«احياناً».

ناولها العلبة لتأخذ سيكارة.

اشعل سيكارتها ثم سيكارته. كانا كغريبين في مقهى يشربان القهوة. انتظرته هيلين ليبدأ بالكلام وقد بدأت تحس ببعض الراحة الضرورية لمعركتها المنتظرة مع هذا الرجل غير الواضح.

«حسناً... علينا ان نبحث بعض الأمور الأساسية المتعلقة بإرثنا المشترك. هناك ثلاثة اشياء. اولاً: البيت الذي تقيمين فيه حالياً. ثانياً: هذا المركب. «حورية البحر». وثالثاً الجزيرة الصغيرة، والها داس تورمينتاس اي «جزيرة العواصف».

اشارت هيلين برأسها موافقة. فهي تعرف كل ذلك.

نظر اليها بحدة ومباشرة كما هي عادته:

«اذن، ماذا نفعل بخصوص هذا الارث المشترك؟».

«قل لي انت».

«حسناً، سأفعل. من الواضح اننا لا نرغب في الاستمرار كشريكين. لذلك سأشتري حصتك. سأدفع لك ثمناً معقولاً. وان اردت تستطيع استشارة محام في سانتو او ساو باولو».

«كلا».

قالت هيلين.

«لا؟ ماذا تقصدين؟ لا تريدين رؤية محام؟».

«لا اريد البيع».

ثم اضافت ليكون كل شيء واضحاً:

«لا لك. ولا لغيرك».

«وهل يمكنني ان اعرف لماذا؟».

كان فضولياً بتهذيب. لم يكن منزعجاً لكن كان في الجو شيء ما كثيار واحست هيلين بالشحنات تتراكم وبأن هذا الرجل المتقلب المزاج قد يثور بين لحظة واخرى. ومن الغريب انها شعرت بالاستعداد لمواجهته هي التي تكره المشاكل. اما معه فالأمر يختلف. يختلف كثيراً.

«لأنني. . .».

اجابت بهدوء. وكان وجهها في تلك اللحظة جميلاً وصافياً. ولم يكن بامكانها ان تتصور تأثيره على الرجل الجالس قبالتها:

«قد ابقى هنا، وربما قررت العيش هنا. وان قررت ذلك سأحتاج بيتاً اقيم فيه بالطبع».

٣- أين الجزيرة؟

«الآن يقلقك هذا تمكن».

قال جيك بهدوء وكأنه يستمع الى رجع كلماته واضاف:

«وان بقيت كما تقولين، ستكونين بحاجة الى مكان تقيمين فيه. والبيت نصفه ملكي».

«لكن يمكننا ان نتوصل الى اتفاق ما».

ونظرت حولها مشيرة بيدها ومضيفة:

«بشأن هذا المركب، مثلاً. او تلك الجزيرة. . .».

كانت تحاول جس نبضه.

«لكن قد لا ارغب في بيع حصتي بالبيت»، قاطعها بهدوء.

شيء ما في لهجته لم يعجبها.

«لكن كنت تتوقع مني ذلك»، قالت مذكرة اياه بما عرض عليها سابقاً.

«صحيح»، وهز رأسه. «لكنك تعرفين ان الأمر يختلف».

غريب جداً ما قاله. لم تقصد ان تقول ما قالت. فالحياة بالنسبة اليها لندن، وعرض الأزياء، والحياة الآمنة الهادئة مع اخوال فيليب وبعض الاصدقاء. حياتها لا تكون هنا على هذه الجزيرة التي تحرقها الشمس مع غرباء، بعضهم لطفاء، ومع

هذا الرجل العدائي نحوها بصراحة، ومع شبح رجل لم تعرفه يوماً. . . والدها.

لكن ليس بمقدور لوغان ان يفطن الى كل ذلك. كل ما يعرفه انها قد تنفذ ما تقول. ترى لماذا تحاول اخافتك؟ لم تكن هيلين تعرف. حتى لم تكن تدرك ان فكرة البقاء اصبحت لها جاذبية معينة وكأنها حلم يقظة، في اي حال لن تدعه يعرف ان فكرة بقائها في هذا المكان ما هي الا حلم.

«لا ارى ان الامر يختلف».

اجابته ببطء.

«حقاً؟ انا اعيش هنا منذ ثماني سنوات، وانت؟ كم مضى عليك من الوقت هنا؟ اثنتا عشرة ساعة؟».

كان التعنيف في صوته الأجش واضحاً. كذلك التهكم المرير.

«الكثير من القرارات يمكن اتخاذها في اثني عشرة ساعة».

اطفأ سيكارته وشرب ما تبقى من القهوة في فنجانه وقال وهو يهم بالوقوف:

«حسناً اذن، انت لا تريدين البيع، ولا انا اريده. انتهينا. اتريدين المزيد من القهوة؟».

«لا شكراً. اين الجزيرة؟».

توقف وهو يهم بالدخول من باب المطبخ.

«كنت اتساءل متى يصل الدور اليها».

«حقاً! هل هي بعيدة من هنا؟».

ان كان يريد اغاظتها فلن ينجح واحست هيلين بالاهانة

اكثر من الغضب عندما قال لها تلك الاشياء التي لن تغفرها له ابداً وصفعته. . . لن تدع ذلك يتكرر. كانت جالسة تراقب البخار المتصاعد من فنجان قهوتها. لم تكن تتصور الاشياء التي حصلت معها بعد ذلك. والتي غيرت افكارها، لا بل حياتها كلها وقلبتها رأساً على عقب. فنجان قهوتها لم يكن كرة الكريستال السحرية، وهي لم تكن قارئة بخت، ثم هناك اشياء من الأفضل عدم معرفتها مسبقاً.

«مدة خمس ساعات بالمركب. وساعة واحدة في الطائرة».

«الطائرة. هل يمكنني ان اذهب اليها في الطائرة؟».

«لا».

وضحك مختفياً في المطبخ.

«فقط لأعطيك فكرة عن المسافة. فقد طرت من سانتو الى هنا».

«اجل، وفي المركب؟ هذا المركب اعني؟».

خرج من المطبخ وهو يجفف يديه بسرواله:

«ممكن».

«متى استطيع الذهاب؟».

«ولم العجلة؟».

«لست مستعجلة».

لن تكرره. لن تدعه ينجح في اغضابها. وابتسمت له. كانت تعرف تأثير ابتسامتها هذه على الرجال. لكن عليه. . . يظهر انها لم تترك اثراً. اخذ نفساً عميقاً ثم زم شفتيه وقام ثانية الى المطبخ حيث سمعت هيلين صوت قدح ينكسر تبعته لعنة.

ارتجفت شفتا هيلين وهي تحاول كتم ضحكة كادت تفلت منها.

اذن كان لبسمتها تلك تأثيرها على الرجل. طبعاً ردة فعله ليست بالمستوى المطلوب لكنها افضل من لا شيء في اية حال.

لحقته الى المطبخ لتراه يلم القطع المكسورة ويضعها في كيس. ثم يضع اصبعه في فمه ويمصها. صدر عن هيلين صوت متعاطف:

«جرحت اصبعك؟».

سألته، واستغربت شعورها بالشفقة تجاهه. نظر اليها بغموض مخرجاً اصبعه من فمه ليجيبها:

«لا. لكنني احب مص اصبعي. الم تلاحظي ذلك؟».

لكنها رأت جرحاً عميقاً الى جانب الظفر وشهقت:

«اليس من الأفضل تغطيته او وضع دواء ما عليه؟»

«بعد ان اكمل لم القطع المكسورة».

«سأفعل ذلك انا».

اكتشفت لحظة دخولها ان المكان يتسع لاثنين بصعوبة. وندمت على تبرعها بالمساعدة. لم تكن تحب الاقتراب منه كثيراً بهذا الشكل وكأنه شعر ذلك. فخرج الى الحجرة تاركاً هيلين وحدها. لم يكن شعورها بعدم الراحة عندما لمس جسمه جسمها وهو يخرج من صنع خيالها. فهو ايضاً احس بذلك حتى لو لم يقل شيئاً. وتنهدت بعمق.

لا تستطيع فهم هذا الرجل ولا فهم ردة فعلها نحوه. لم تكن في حياتها متحفزة هكذا تجاه اي رجل وكان هذا الشعور مزعجاً ومخيفاً الى حد ما.

بضع ساعات فقط مكثت هذا الرجل لا يوقظ فيها الوعي الكامل لوجودها، ولوجوده هو ايضاً. لم يكن احساسها هذا خالياً من المتعة. امر عجيب وغير فقد كان هذا الرجل رمزاً لكل الاشياء التي تكرهها، المزاج المتقلب، العنف، وفوق هذا كله مطاردة النساء.

انحنت هيلين لتلتقط بقية قطع الزجاج المتناثرة على الأرض بحذر شديد كي لا تجرح اصابعها. ترى ماذا لم يجب على سؤالها عن الجزيرة؟ وعادت الى الحجرة لتراه يضع ضمادة على الجرح . .

«هل بامكاني استئجار مركب؟».

«ولماذا؟».

«لأذهب الى الجزيرة».

«لا اظن ذلك ممكناً».

«استطيع استعمال هذا المركب. اذن؟».

ترى هل يضع العقبات في طريقها عن قصد؟

«لا. فهو بحاجة الى اوفرهول».

نظرت حولها قائلة:

«اراه بحال جيدة».

رفع اليها عينين متهكمتين:

«وماذا تعرفين عن الآلات؟».

«لا شيء . . . لكنه مركب جديد».

«في الواقع عمره ثلاث سنوات. قضي فيه والدك ساعات جميلة. ذهب في رحلات، احياناً وحده واحياناً بصحبة بيل او

بصحبتي، لتصيد السمك او لمجرد التصوير. انه مركب جميل، «جنية البحر»، بالفعل مركب جميل».

ارادت ان تعرف المزيد عن والدها. لكن ليس من فم جيك لوغان. ربما من بيل او من هانا. وليس من هذا الرجل العدائي، الذي يخفض مهما قال وبينها بكلامه... لا لن يكون الامر مريحاً.

«متى ستكون حاضراً للرحلة اذن؟».

«عندما يتوفر لدي الوقت».

وقرأت التعبير على وجهه وهو يستدير ليعيد العلبة الى الخزانة. انه يتسلى بها ولا تستطيع عمل اي شيء. هذا ما يقلقها. شعور مخيف بالعجز وكأنها تقاتل عدواً شبحاً لا شكل له ويلذون ان تراه.

نعم هو عدوها ويكرهها لظنه انها صائدة ثروة وأنها جاءت الى هنا فقط لترى ما تستطيع اخذه. ما من شيء تستطيع قوله او فعله لتقنعه بعكس ذلك، ولماذا تفعل؟ فقط لو يعلم انها لم تكن تريد المجيء الى هنا. وان الخال فيليب هو الذي اصر على مجيئها واقنعها. قال لها ان الواجب يفرض عليها ذلك فلو لم يكن والدها يرغب في ذهابها لما ترك لها كل تلك الاشياء.

الشيء الوحيد الذي ارادت هيلين فعله هو اعلام المحامي برغبتها في تحويل النصف الذي تركه لها والدها لذلك الرجل لوغان فقد كان يعرف والدها جيداً وله نصف الأملاك ويملك الحق في امتلاك النصف الآخر. لكن الخال فيليب لم يوافق. وها هي هنا الآن على هذه الجزيرة الجميلة والأجمل بكثير مما

تصورت لكن وجود هذا الرجل قربها يفسد كل شيء.

«هل انت مشغول الى هذه الدرجة؟ اعني متى تستطيع...».

لكنها لا تريد ان تذهب الى الجزيرة بصحبته. وبدأت فكرة ما تتوضح في رأسها. وملأها احساس غريب.

اراح جيك لوغان يديه على الطاولة ونظر اليها.

«نعم، انا مشغول. علي الاهتمام بالحديقة فالعشب فيها طال كثيراً، كما ان هناك اشياء اخرى. لكنني سأبدأ العمل على «جنية البحر» حالما انتهي من كل ذلك. هل يرضيك هذا؟».

«هل يرضيك ان تكون وقحاً؟».

سألت بحدة.

«وهل كنت وقحاً؟ لم انتبه لذلك».

وانقبض وجهه.

«اجل. واجرؤ على القول انه ذلك طبيعي عندك سيد لوغان».

اخذت منه الكفاية والآن جاء دورها لتقول بعض الأشياء له. ولم تتوقف لتفكر لماذا تفعل هذا:

«في كل حال. ان حدث ان جابهك احدهم لا تتورع عن ضربه. أليس كذلك؟».

انفجر بالضحك وكأنها كانت تسليه:

«حقاً». قال اخيراً: «وهل اخبروك ذلك؟ اقصد هل تقول الاشاعة اني اقوم بضرب الرجال والنساء كلما تحركت؟ هيا، قولي!».

«لا ادري. انت تعرف لكن لن يفاجئني ذلك».

قالت هذا بتحد واضح.

«اذن ماذا تفعلين معي على هذا المركب بحق الله؟ الا تخشين المخاطرة؟».

ونظر اليها بحدة وكأنه يقيسها من اعلى الى اسفل:

«ان كنت وحشاً بهذا الشكل، أليس من الأفضل ان تنتبهي للأشياء التي تقولينها؟».

«لا، لا اخافك. انا اقوى مما يدل عليه مظهري».

وابتسم بمكر:

«حقاً؟ هل تجرب ونرى؟».

ربما كان يمزح لكن من يدري فهي لا تفهم الرجل.

هزت رأسها:

«اكره العنف. انه بشع، مخيف».

«اوافق. والآن بعد ان قلت كل ذلك، اخبريني ايتها القديسة كارينتر. لو كنت رجلاً وصادف ان كنت تعبرين ممراً مظلماً وسمعت استغاثة امرأة. نظرت فرأيت رجلين يمزقان ثيابها ويضربانها، ماذا كنت تفعلين؟».

لهجته القوية، ومضمون حديثه اسكتا هيلين. فزم شفتيه بسخرية:

«ماذا؟ هل ربط لسانك؟».

«اذهب و... اظنني اذهب للمساعدة».

«حسناً. هكذا حصلت على هذه».

ورفع الغطاء الاسود كاشفاً امامها منظر عينه الرهيب.

«كان عندي الخيار بين استعمال السكين وبين هذه. لكنني ابعدت السكين جانباً وهذا ما حصلت عليه ومضت المرأة في سبيلها. لم تكن تلك المنطقة مناسبة لأية امرأة محترمة لكن ذلك لم يكن هاماً بالنسبة الي. وتركت الرجلين يتحملان بآثار اللكمات وعدت الى بيتي. أنت تكرهين العنف. عظيم. وانا ايضاً. لكن هل كان عندي الخيار؟».

«اين حصل هذا؟».

«في جزيرة اخرى تبعد عشرين ميلاً من هنا. كنت هناك منذ يومين، لا تسألي لماذا. هي مكان لصيد السياح. فيها علب الليل والكثيرات من النساء اللواتي لا يتورعن عن شيء».

نظرت هيلين اليه.

«ولماذا تريدني ان اعرف؟».

«لا شيء. فقط اصحح لك بعض المعلومات. مارشا وهانا والآخرون لا يعرفون كل شيء».

«ولماذا تشرح لي انا كل هذا؟ لم اكن اظنك تعير رأيي فيك اقل اهتمام».

ضحك قائلاً:

«صحيح. فقط اردت مراقبة وجهك وانا اخبرك ذلك. احياناً هذا القناع الملوكي المهذب يسقط عنه. يجب ان تدعيه يسقط مرات اكثر. هكذا تبدين كانسانة».

«لا شيء يجبرني على تحمل اهاناتك. انا ذاهبة».

«سيلين! لم ابدأ معك بعداء».

لاحقتها كلماته وهي تصعد الدرجات المؤدية الى ظهر

المركب. كان لها صدى ينذر بالسوء.

كانت هيلين لا تزال متعبة بتأثير السفر فاستلقت قليلاً بعد ان تناولت غداء خفيفاً من فاكهة الأناناس الطازجة وبعض الخبز والزبدة. كانت ما تزال ترتجف بعد مواجهتها مع لوغان وانزعاجها كان كبيراً لانها سمحت له بالتأثير عليها بهذا الشكل. لم ينجح احد من قبل في تعكير صفائها مثل ما يفعل هذا الرجل بكلمات قليلة منتقاة.

اخذت تتقلب في سريرها بدون راحة وهي تستعيد الموقف على المركب وكلماته الأخيرة التي كانت تنذر بالسوء وكأنها تهديد. سرت القشعريرة في جسمها وعادت صورته تلاحقها. وجهه القوي، والذي تعرف بوسامته عندما يخلع عنه تلك الرقعة السوداء. خصوصاً تلك الجاذبية البدائية حوله. رجل يحصل على ما يريد معظم الأحيان. هكذا تصورت وكان ذلك مزعجاً ايضاً لكن بطريقة مختلفة.

غلبها النوم في النهاية. وعندما استفاقت كان الجو الطف. نظرت الى ساعتها: الخامسة والنصف تقريباً. وقريباً يحل الظلام. قامت هيلين من فراشها ووضعت عباءة عليها ومشت الى المطبخ لتعد القهوة. قررت ان تزور بيل وهانا، عليها ان تسرع.

الخطة التي خطرت ببالها على المركب اصبحت واضحة الآن. تريد التحدث الى بيل في الموضوع. وتحس انه يميل اليها وطبعاً هي تميل اليه والى هانا ايضاً. ثم هناك مئات الكتب والمجلات في بيتها وستحتاج هيلين الى ما يساعدها على النوم

تلك الليلة وعلى مواجهة الوحدة. وغداً عليها شراء بعض الحاجيات وارسال الرسائل الى انكلترا خصوصاً الى الخال فيليب. ربما حمام شمس ايضاً ومشوار على الشاطىء، وقد تسبح.

تعرف هيلين جيداً انها بحاجة الى بضعة اسابيع من الراحة فقد كانت مرهقة كثيراً ومتشنجة قبل قدومها الى هنا بقليل. فمهنتها متعبة ومثيرة للأعصاب. لذلك عليها اقصاء هذا الرجل جيك لوغان عن تفكيرها والاسترخاء للتمتع بعطلتها. لكن وكما ثبت لها لاحقاً كان من السهل قول هذا، اما تنفيذه. . .

جاء صوت هانا عالياً:

«ادخل، الباب مفتوح».

ودفعت هيلين الباب الخشبي ودخلت، جاء صوت هانا ثانية:

«انا في المطبخ. من هناك؟».

«هيلين كاربنتر».

«اوه. اهلاً».

وخرجت هانا من المطبخ الى القاعة المجاورة.

«كنت اصنع بعض الخبز البيتي. اتشربين بعض الشراب؟».

«نعم. من فضلك».

وتبعتها الى المطبخ المدهون بالأبيض وراقبتها وهي تسكب كأسين من عصير الليمون وتضع فيها قطع الثلج.

«هل تريدين بيل؟ لن يتأخر كثيراً».

«نعم ولا».

وابتسمت هيلين:

«في الواقع جئت للزيارة ولاستعارة بعض الكتب».

«الكتب! بامكانك انتقاء ما تريدين. تقريباً كلها كتب بيل ودائماً اهدده بالقائها كلها في القمامة. وبين وقت وآخر اتخلص من بعض الكتب التي اعرف انه لن يفتقدها. تفضلي وخذي ما تشائين».

ورق وجه هانا بابتسامة استجابت لها هيلين.

«اشكرك. صممت أن أقرأ قليلاً الليلة. فقد نمت بعد الظهر واخشى ان لا استطيع النوم بسهولة».

«ستعتادين على الجو هنا سريعاً. انه مريح. انام كطفل هنا. وعندما اسافر اتعذب كثيراً».

ثم ودون ان تغير من لهجتها قالت وهي تقطع العجين بأشكال مختلفة:

«لقد قابلت جيك لوغان طبعاً؟».

«نعم».

وبلعت هيلين العصير البارد اللذيذ:

«جاء مساء امس ليعطيني مفتاح البيت. وهذا الصباح اراني المركب».

«وكيف تجدينه؟».

«لم يعجبني. والشعور متبادل. لقد صرح بأنه يظن اني هنا لآخذ ما استطيع اخذه فقط».

«ولا استغرب ذلك».

قالت هانا وهي تضع بعض الزبدة في الصينية:

«فأنا اعرفه جيداً وكم اتمنى ان يلتقي يوماً بمن يستطيع الوقوف في وجهه وبحضوري ايضاً».

لكن هيلين لم تكن راغبة في التحدث عن جيك لوغان. ارادت التحدث عن الجزيرة ومعرفة رأي هانا بخطتها قبل افضائها الى بيل:

«اريد الذهاب الى جزيرة العواصف التي كان يملكها والدي. هل تعرفين عنها اي شيء؟».

سألت هانا التي تطلعت الى بعيد وكأنها ترى المكان ثم اجابت:

«ذهبت مرة اليها مع بيل ووالدك. ذهبنا في «جنية البحر». انها مكان جميل. طبعاً هي جزيرة صغيرة بالنسبة الى هذه الجزيرة، ولا يسكنها انسان للأسف. اشجارها محملة بالفاكهة اللذيذة. وهناك أنواع كثيرة من الطيور تعشش في اغصانها. آه ستكون مفاجأة لك يا عزيزتي».

«هذا ما اريد ان اكلمك عنه. كيف اصل الى هناك؟ حدثت جيك لوغان بالموضوع. وكان شعوره واضحاً فهو لا يريدني ان اذهب اليها. يقول ان «جنية البحر» بحاجة الى اصلاح وذلك يستغرق وقتاً...».

وتوقفت عن الكلام عند رؤيتها التعبير على وجه هانا وسألت:

«هل بك شيء؟».

«هكذا اذن؟ لا تصدقيه فالمركب في احسن حال. كل ما في الأمر انه يأمل ان تنسي الموضوع ان اعتذر هو عن اخذك. ثم لا استغرب ان يحاول شراء حصتك في الأرث».

اعترفت لها هيلين:

«اجل، يريد ذلك، لكنني لا اريد ان ابيع. لماذا؟ لا اعرف. كل ما هنالك اني بحاجة لبعض الوقت للتفكير».

«بالطبع يا عزيزتي، لا تصغي اليه، لك كل الحق في ذلك ولا تتركيه يستعجلك في اي شيء».

«كنت اتساءل ان كان بامكان بيل اخذي الى الجزيرة. كما تعرفين انا املك نصف المركب ولي الحق في استعماله. ثم اظن ان السيد لوغان استعمله في الأسابيع الماضية».

«اجل. كان يستعمله». اجابت هانا. «واسألي بيل عندما يعود. لكن كوني لبقة في ذلك فهو وذلك الرجل، لوغان . . . اصدقاء».

ضحكت هيلين وقالت:

«سأحاول».

وشعرت بسرور وراحة. جميل ان تكون هانا الى جانبها، فهي غريبة ووحيدة هنا، ثم ان هانا تملك قلباً طيباً برغم مظهرها الجاف.

تحدثتا قليلاً في امور عامة عن الجزيرة، وعن والد هيلين، روبرت. وكونت هيلين عن والدها صورة واضحة . . . رجل طيب، محبوب من الجميع، ولم يكن ابداً يتكلم عن حياته في بريطانيا. وكان يظهر انه قد اندمج كلياً في حياة الجزيرة واستقر

في بيته الصغير المريح.

انتهت هانا من خبز الكعك. وتناولتا بعضاً منه مع القهوة. ثم قامت هانا باحثة في صندوق للصور القديمة. اخرجت منه اثنتين وناولتهما هيلين: والدها على ظهر «جنية البحر». وفي احدى الصورتين ظهر جيك لوغان. قالت هانا:

«لم الاحظه من قبل . . . انظري اليه يحاول اخفاء وجهه بيده، انه لا يحب ان تؤخذ صوره . . .».

وتطلعت هيلين مرة ثانية. بالفعل فهو يحاول رفع يده نحو وجهه تماماً مثل المشاهير الذين يحاولون الهروب من الجماهير. خامر هيلين نوع من الشك في وقت لاحق. اما في تلك اللحظة فقد كان كل همها ان ترى الرجل . . . والدها، الذي كان غريباً عنها رغم كونه السبب في وجودها.

كان تماماً كما تصورته: طويلاً، نحيلاً، شعره اشيب، وذا وجه طيب ولطيف.

«ايمكنني الاحتفاظ بهذه؟».

سألت هيلين والبريق في عينيها. رق وجه هانا لها. «طبعاً. لذلك فتشت عنها في صندوق الصور. في الواقع كنت انوي فعل هذا ليلة امس عندما كنت معنا لكنني نسيت. سأفتش لك عن مغلف تضعينها فيه. وبينما افعل ذلك تختارين انت الكتب والمجلات التي تريدين. ها هو بيل». سمعت صوت البوابة الخارجية يغلق.

ثم سمعتا بيل يقول:

«انه انا».

«هيلين هناء.

نادته هانا ثم قالت لهيلين بصوت منخفض:

«اسأليه وهو يقوم بتوصيلك الى البيت، ذلك افضل».

دخل بيل حاملاً ثلاث سمكات بيضاء تصيدها. وبدأ بتنظيفها قائلاً:

«سأعطيك واحدة منها يا هيلين. انها لذيذة».

«شكراً بيل لكن لا اعرف كيف اطبخها».

«سأريك عندما اوصلك الى البيت. على كل فهي اطيب ما تكون مشوية مع بعض الزبدة. . . يسيل لعابي عندما اتصورها جاهزة للأكل».

وضحكوا. . . بقيت هيلين معهما اطول مما كانت تتصور، صحبتهما مسلية جداً. مع ان هيلين كانت نصف قلقة حول الحديث، فقد كانت تخطط الطريقة التي ستطلب منه فيها اخذها الى جزيرة العواصف.

وفي الطريق الى البيت بينما كانت تحمل كل تلك المجلات وبيل يحمل الكتب والسمكة قال لها شيئاً سرها كثيراً لدرجة نسيت معها انها كانت تمر في تلك الطريق المظللة بالشجر الكثيف والتي كانت تخيفها في وضح النهار. قال لها:

«كم انا مسرور لأن هانا احبتك هكذا. فهي كما تعلمين وحيدة ولا اصدقاء لها. لكنها مرحة ومتألقة منذ ان وصلت».

«وانا سعيدة بهذا. انها امرأة طيبة. آمل ان تستمر صداقتنا. مع انه كان عندي انطباع خاطىء من. . .» وتوقفت متنبهة ان ما كانت تنوي قوله لم يكن لائقاً.

«من من؟ مارشا او جيك؟».

سأل بيل بمرح واضاف:

«لا بأس. لا تقولي شيئاً. على كل فهي لا تتفق مع اي منهما. . . الاسباب مختلفة، بالطبع».

«استطيع فهم ذلك. . . اقصد لوغان، فأنا لا اعرف مارشا جيداً».

ضحك بيل وقال:

«وتظنين انك تعرفين جيك؟».

«ليس كثيراً. لكن ما اعرفه فيه لا احبه».

قالت بصوت منخفض فقد اقتربا كثيراً من البيت. لم ترد ان يسمعها جيك مع ان الموسيقى العالية الآتية من بيته لن تمكنه من سماع اي شيء. ثم اكملت:

«هو نفسه لا يحاول ابداً اخفاء ما يفكر فيه. . . هيا». ودخلا البيت.

وضعت هيلين الكعك والمجلات على الطاولة وتناولت الكتب من بيل الذي ذهب الى المطبخ. تبعته قائلة:

«اريد ان ارى جزيرة العواصف. لكنه رفض اخذي اليها. بيل. . . هل تأخذني بجنية البحر؟».

لم تقصد ان تقولها هكذا. كانت تخطط لغير ذلك. لكنها قالت ما قالته بطريقة عفوية. وبيل سيفهم بالطبع.

كان يضع السمكة في الثلاجة واستدار اليها، وعلى وجهه شيء من الاستغراب.

«بدون ان يعرف - حضرته - تقصدين؟».

اشارت بالايجاب.

صفر صفرة طويلة ماراً باصابعه فوق ذقنه:

«سيلتي . . . هل حقاً تعنين ما تقولين؟».

«اعني ذلك».

ورفعت ذقنها بتحد واضافت:

«نصف المركب لي. ثم انه يستعمله، اليس ذلك؟».

«بلى . . . لكنك لم تريه في احدى فورات غضبه . . . هه؟».

«لا. لكنه لا يخيفني».

اجابت بسرعة. وضحك بقوة:

«ربما لا. فهو لا يشاجر امرأة. ثم اني لا احب الوقوف ضده».

«اذن. ترفض؟».

واحست بصدمة. لكن بيل رفع حاجبيه السوداوين قائلاً:

«لم اقل ذلك. لكني بحاجة الى التفكير في الموضوع. بالطبع لك الحق في استعمال المركب. متى تريدين الذهاب؟».

ارتفعت معنويات هيلين، وعرفت انها كسبت. لكنها لم تعرف ما كان بانتظارها . . .

«باسرع ما يمكن. غداً؟».

«ايه . . مهلاً. لا سبب للعجلة. الرحلة تستغرق عشر ساعات. وان كنا ننوي القيام بها بهدوء – تعرفين ما اقصد – علينا الانتظار حتى يوم الاربعاء او الخميس. عندما يكون جيك في سانتو. ثم يجب ملؤها بالوقود، والماء، وتحضير بعض الطعام».

«وان استطعنا الذهاب في غيابه، فلن يعرف ابداً».

وبرقت عيناها.

«انت بارعة. اتعرفين ذلك؟ سنرى. هذا كل ما اعدك به».

وابتسم فقالت:

«سنحتاج بعض النقود لشراء الوقود، معي الكثير . . .».

رفع يده قائلاً:

«توقفي يا آنسة. سأشتري كل شيء. ثم اخبرك. لست بحاجة الى النقود الآن. تعرفين يا هيلين. انا متشوق جداً للقيام بهذه الرحلة . . . احس وكأني مثل تلميذ مدرسة يخطط لشيء ما . . .».

وقهقه بحرارة وهو يهز رأسه متابعاً:

«حسناً. دعيني اريك الآن كيف تحضرين السمكة».

وتوجه الى الفرن ساحباً منه صينية الشواء. وبدأ يشرح لها. حاولت ان تركز، لكن ذهنها كان في مكان آخر. انها ذاهبة الى الجزيرة اخيراً. بعض الحظ فقط ولن يعرف جيك لوكان بذلك!

ذهب بيل بعد ان اراها كيف تحضر السمكة وكيف تشغل الراديو والفونوغراف. حضرت القهوة. وادارت اسطوانة لبيري كومو ثم استلقت على المقعد وبجانبها رزمة من المجلات وبعض الكعك. الساعة بعد العاشرة بقليل. لم تتوقع ان تنعس باكراً هكذا خصوصاً بعد نومة بعد الظهر الطويلة. لكن الحروف امام عينيها بدأت تهتز وتتراقص، اكملت قهوتها ثم

أقفلت الفونوغراف. في الصباح ستقوم بشراء بعض الحاجيات. ستذهب في نزهة. وربما تذهب الى الشاطىء لترى وجنية البحر» ثانية.

تأكدت هيلين من ان الأبواب مغلقة بإحكام وذهبت لاغلاق النوافذ في غرفة الجلوس.

كان الظلام حالكاً، في الخارج، وقفت قرب النافذة تتطلع الى الاشجار العالية. وفجأة احست بالفرح لقدومها الى هذا المكان.

ثم سمعت شيئاً. باب يغلق وصوت فتاة تضحك، وبسرعة وبحركة غريزية ابتعدت عن النافذة، اطفأت النور وعادت تقف في مكانها بهدوء وحذر. رأت شبحين في العتمة. رجل وفتاة يخرجان من بيت لوغان ويسيران في الممر المؤدي الى القرية. استطاعت هيلين تمييز الثوب الذي رأته في الصباح انها سيرينا. سمعت صوتها بوضوح في هدوء الليل. ثم صوت ضحك لوغان الأجش العميق. استدارت هيلين مبتعدة عن النافذة. لقد افسد مزاجها الفرح... ابتعدا لكن صورتيهما بقيت معها. ولم تستطع التخلص منها ولا من شعورها المزعج. ولم تستطع النوم الا بعد وقت طويل.

٤ - أهلاً ايتها الشريكة!

عندما ذهبت هيلين في الصباح لتشتري بعض الحاجيات من المخزن الرئيسي في الجزيرة كانت قد نسيت تماماً ان الناس هنا لا يتكلمون اللغة الانكليزية. وبالطبع لم تكن أي من الفتاتين اللتين تعملان في المخزن تتكلم سوى اللغة البرتغالية. كان الوضع محرجاً ومضحكاً في آن. فقد كانت هيلين تنظر حولها وتحاول ان تشير الى الأشياء التي تريدها. وعندما انتهت من كل ذلك تذكرت انها تريد ورق رسائل ومغلفات. نظرت حولها ولما لم تجد ما تريد، حاولت القيام بحركات ايمائية لافهام الفتاتين اللتين ابتسمتا لها بحيرة. قلدت هيلين نقر الطوابع والصاقها على الورق وقامت بحركات وكأنها تكتب شيئاً ما... ولم تفهم الفتاتان.

فتح باب المخزن بضجة ودخل طفلان يثرثران بصوت مرتفع. تنفست هيلين بارتياح، انه توني ابن اخت سيرينا وباولو طفلها. لا بد ان تكون سيرينا قادمة او هكذا فكرت هيلين. لكن... هل تراها احست بأن هيلين كانت تراقبها الليلة الاخيرة؟

دخلت سيرينا خلف الطفلين وبدأت تزجرهما. عندما رأت

هيلين، ابتسمت بحياء وحيتها.

«اهلاً سيرينا هل تساعدينني؟ احتاج لورق رسائل وبعض المغلفات. ولا ادري كيف اطلب ذلك».

«سأساعدك».

انها حقاً طفلة جميلة . . . طفلة؟ ماذا؟ قالت هيلين لنفسها وهي تراقب سيرينا تكلم الفتاتين بالبرتغالية. انها تصغرني بثلاث سنوات فقط . . . ومع ذلك توحي بأنها صغيرة وما من يدافع عنها . . . واحست بالألم في داخلها. وذلك الرجل . . . ما ابشعه! ما اقساه!

«شكراً سيرينا».

وابتسمت لها.

«سأساعدك في حمل هذه الأشياء».

قالت سيرينا مبتسمة. واستدارت الى الطفلين اللذين كانا تقريباً في داخل ثلاجة المخزن المليئة بالاطعمة المثلجة وناديتها بصوت عال.

قالت هيلين:

«دعيني اولاً اشتري لهما بعض البوظة ولك ايضاً، رداً على مساعدتكم لي».

«نعم، من فضلك. . .».

قالت سيرينا لاحدى الفتاتين بينما اختفت الأخرى في مؤخرة المخزن وعادت مع الطفلين وهما يضحكان. بعد بضع دقائق كانوا كلهم يسيرون باتجاه بيت هيلين. سيرينا وهيلين تحملان صندوقين كبيرين مليئين بالأشياء التي اشترتها هيلين.

والطفلان يلعقان البوظة وخلفهما خط طويل من البوظة الذائبة.

عندما اقتربوا من باب البيت الأمامي المجاور لبيت لوغان لم تتمكن هيلين من مغالبة رغبتها في استراق النظر الى سيرينا. كانت الأخيرة تمشي بهدوء تحمل الصندوق بيد وبالأخرى تلعق البوظة ووجهها الأسمر جميل وباسم. سيرينا! فكرت هيلين في نفسها. كم ينطبق عليها هذا الأسم، فهي حقاً رائقة وهادئة. انها فتاة جميلة وبعد بضع سنوات ستكون امرأة جذابة.

«تفضلي بالدخول».

قالت هيلين وهي تضع الحاجات على الأرض لتفتح الباب. لا تدري لماذا تفعل ذلك. ربما كان من الحكمة ترك هذه الفتاة وشأنها. ومن يدري اية اكاذيب تقال عنها حيث لوغان على مسمع سيرينا. واضطربت هيلين لمجرد التفكير بذلك.

«سأساعدك بترتيب الحاجات. وبعدها يجب ان آخذ الأولاد الى الشاطىء».

«انا ذاهبة الى هناك ايضاً، اريد ان اسبح، هل المكان آمن للسباحة؟».

فقد تذكرت ما قاله جيك لسيرينا في اليوم الثالث.

هزت سيرينا رأسها: «في هذا الوقت، البحر امن».

«حسناً سأخبر ليلي. هل تسبحين انت؟».

ترددت سيرينا قليلاً:

«احيان لكن على مراقبة الأولاد. فهم شياطين!».

«أستطيع انا فعل ذلك ان كنت تريدين السباحة».

قالت هيلين مبتسمة. «لم تعرف كيف حصل ذلك. لقد احبت هذه الفتاة فعلاً رغم علاقتها مع جيك لوغان. انها تحس بالعطف عليها.

«حسناً. في الوقت الذي تغيرين فيه ثيابك اضع انا الطعام في البراد وإلا سيفسده.

«شكراً لك يا سيرينا».

لم تستغرق هيلين اكثر من دقيقة لتخلع ثيابها وتلبس «المايوه» الأزرق الغامق وثوبها فوقه.

وساروا باتجاه البحر وتذكرت هيلين ما حدث في اليوم الفائت. وكيف اغضبها ما قاله جيك لوغان فصفعته...

لم يكن احد على الشاطىء. «جنة البحر» فقط كانت تتأرجح في مرساها. وركض توني وباولو في اتجاه الماء وقفزا فيه كجروين صغيرين، وهما يضحكان ويصرخان.

نظرت سيرينا الى هيلين وهزت كتفيها وكأنها تقول: أرأيت ما اعني؟.

وضعت هيلين المنشفة على الأرض والمعجون الذي تستعمله للسباحة، ثم جلست على الرمال الدافئة الجافة.

«اذا اردت ان تسبحي الآن فسأهتم انا بالأولاد».

«كم انت لطيفة. شكراً».

وانصاعت عينا سيرينا البنيتان بشقاوة:

«احب ان اسبح. لكن مع هذين الشقيين...» وهزت كتفيها، «... وجيك لا تتاح لي الفرصة».

وركضت باتجاه الماء وهي ما تزال مرتدية ثوبها وبدأت تسبح

بحركات متقنة وهادئة. تعجب الطفلان لذلك وبدءآ يغيظانها فركضت هيلين واخرجتهما من الماء خوفها ان يلحقا بسيرينا.

«اتركاها تسبح».

قالت للطفلين بلطف ثم لنفسها: يا الهي عليّ ان اتعلم اللغة البرتغالية ان كنت انوي البقاء هنا لبضعة اسابيع. بعض الجمل على الأقل حتى لا اواجه دائماً بمثل هذه النظرات الفارغة.

اشارت الى البحر حيث كانت سيرينا تسبح وشعرها الذهبي الغامق يعلو ويهبط مع الموج. اشعة الشمس المنعكسة على الماء ظهرت كخيوط الذهب الذائبة. ومن الجو جاء صوت طائر النورس كالنحيب يرد عليه طائر آخر من بعد. ما اجمل هذا كله. واشجار النخيل المتمايلة بنعومة مع نسيم البحر اللطيف، وسعفه الجميلة المتعالية في زرقة السماء وتخللها الأنواع الأخرى من الاشجار الكثيفة الأوراق والمشبعة بالخضرة، كم ترتاح العين في النظر اليها. والدها رأى ذلك كله وتمتع به، فكرت هيلين في نفسها وهي تسير غير منتبهة، انها لا تزال تمسك بالطفلين اللذين كانا يسيران الى جانبها بهدوء وبطيب لأول مرة. لقد عاش والدها هنا، رأى كل ذلك وأرادها ان تراه هي ايضاً وهكذا ترك لها كل تلك الأشياء.

«اين سيرينا؟».

وحطم الصوت بوقاحة مزاجها الهادىء وحبل افكارها المريح. استدارت لترى جيك لوغان يسير باتجاهها، عاري الصدر وعاري القدمين. كان قادماً من صوب البيت. ووقفت

جامدة تراقبه يقترب منها. كان من الصعب ان تحول نظرها عنه. انه حقاً . . . ما من شيء يصفه اكثر من . . . وحش رائع. احدهم – ربما مارشا من تلك الطائرة. قالت ان له جسماً رياضياً ذلك صحيح. كتفان عريضتان وقويتان. ذراعان كلها عضلات قوية. صدر جميل ومغطى بالشعر الأسود الكثيف. لمعت سلسلة الذهب حول عنقه وهو يمشي نحو هيلين بخطوات واثقة ويتوقف على بعد بضع اقدام منها.

«انها تسبح».

اخبرته هيلين.

«ماذا؟ تسبح؟».

ونظر باتجاه البحر، ثم الى هيلين، وشتم وصرخ:

«سيرينا!».

وجفلت هيلين. ان لم تسمع الفتاة ذلك، فستكون المعجزة. حتى النورس الذي كان يأكل بهدوء عن سطح الماء اطلق صرخة خائفة وطار بعيداً. تطلع اليه الولدان برهبة وانفجر توي بالبكاء.

لم تستطع هيلين ضبط اعصابها.

«الوحش!». قالت.

جيك الذي كان ينظر باتجاه البحر رماها بنظرة سريعة وهي ترفع توي لتحمله. ثم عاد ووضع يديه على خصره وتطلع الى البحر. هدأ توي عندما حملته هيلين. بعد لحظات كانت سيرينا تخرج من الماء متعثرة وثوبها لاصق بجلدها مظهراً تكويناته الفتية.

اوماً اليها جيك واسرعت خارجة من الماء، لاحظت هيلين الخجل على وجهها. كيف يحدث كل هذا؟ من يعطيه الحق؟ وتكلم جيك البرتغالية بلهجة سريعة وفهمت هيلين انه كان يزجر سيرينا وكان صعباً عليها تهدئة اعصابها وشدت توي الصغير الى صدرها كأنما ليمنع خفقاته المتزايدة. حاولت سيرينا الوقوف في وجه جيك لكنه غلبها في النهاية. تطلعت الى هيلين والدموع تلمع في عينيها وكأنها تعتذر ثم جرت وركضت باتجاه البيوت.

انزلت هيلين توي الى الأرض ناوية ان تلحق بها عندما قام جيك لوغان بعمل غير متوقع.

وضع يده على ذراع هيلين.

«انتظري لحظة».

قال. وهمس شيئاً للطفلين اللذين ركضا الى الماء. دفعت هيلين يده عن ذراعها غير مبالية بأظافرها التي غرزت في لحمه. كان هناك احساس غريب في المكان الذي لمسه بكفه الدافئة القوية لكنها ستتجاهل هذا.

«لا تمد يدك اليّ».

«تظنيني وحشاً».

«واكثر من ذلك لكنني سأحاول ان لا اقول المزيد».

«ذلك افضل. بالطبع لا تريدين ان يشك احد بأنك سيدة مهذبة».

تطلعت اليه بدون اية محاولة لاخفاء الاحتقار الواضح في عينيها الواسعتين الصافيتين.

«هل ستهتم بالأولاد ام افعل انا ذلك؟ هذا طبعاً اذا افترضنا انك تهتم ولو قليلاً».

ونظرت باتجاه الطفلين اللذين كانا يعومان ويلهوان بالماء حولها.

«منذ لحظات ارسلت سيرينا والدموع في عينيها. ربما ستفعل ذلك للطفلين ايضاً. انا متأكدة انك ستجد الامر سهلاً».

«ارسلت سيرينا الى البيت لتجفف نفسها. ليس لها الحق ان تنزل الى الماء. عندها مشكلة في اذنيها منذ كانت صغيرة وتعرف ان عليها تجنب الماء».

وتطلع الى هيلين مكملاً:

«لا احب ان اقوم بعمل الممرض. لكن ليس لديها احد غيري يهتم بها. اختها مشغولة ببيتها وبطفلين صغيرين ولا وقت لديها لمراقبة سيرينا. وان كنت اتكلم معها بلهجة قاسية فذلك لكونها طفلة مدللة ولا تفهم الا بهذه الطريقة».

كان لكلماته تأثير غريب على هيلين. كان لها وقع صادق، ربما... ربما يهتم حقاً. لكنها لا تود التفكير بذلك. ما زالت تذكر ليلة امس عندما رأتهما معاً. اذن هو لا يعاملها دائماً كطفلة.

«انا سأهتم بالطفلين. سأسبح قليلاً».

نظر الى ساعته الذهبية ثم قال:

«لا بأس. اذهبي واسبحي. سأهتم بهما لمدة نصف ساعة».

ومضى باتجاه الطفلين معتبراً ان الموضوع انتهى. ولفت

هيلين ترقب ظهره وهو يبتعد يتملكها شعور بالاضطراب والعصبية. ما سر هذا الرجل؟ هناك شيء ما ليس من اختراع خيالها، جاذبية ما حول هذا الرجل تجعلها ترتجف عندما يكون قريباً منها.

وقح ومهين ومع ذلك هناك رقة غريبة تشع منه. رأته ينحني ويقول شيئاً لتوني - طفله - ويلمس خد الصبي بلطف. كان حنوناً ودافئاً معه، ربما لأنه جعله يبكي قبل دقائق. استدارت هيلين وذهبت كي تسبح قليلاً. ستحاول التظاهر بأنه غير موجود رغم صعوبة ذلك. لكنه لن يعرف.

لم تستطع هيلين تجاهل وجوده فبينما كانت تسبح نظرت باتجاهه لتراه يحاول تعليم الطفلين السباحة. كان المنظر ساحراً الى الدرجة التي نسيت هيلين معها نفسها واخذت تراقب الثلاثة باهتمام. اثنان صغيران: مكتنزا الجسم والثالث كبير واسمر وقد نسوا وجودها كلياً. كان هذا مدهشاً كأنها لم تكن هناك.

بدأ التيار يسحب هيلين وهي غافلة عنه ومستغرقة في مراقبة جيك والولدين. كان جيك منحنياً على باولو وتوني يراقب مندهشاً واصبعه في فمه كيف يرفع جيك بيده ذقن باولو ويضع يده الاخرى على بطنه محاولاً التحدث اليه بلطف وحزم كي يضبط حركاته العنيفة.

لم تعد هناك دموع بل ضحكات تعلو بينما كان الطفلان وللمرة الاولى يختبران الشعور بانعدام الوزن في الماء. لكن اهتمام هيلين كان منصباً على جيك لوحده. هل هو حقاً الرجل

الذي كلمها بتلك الوحشية والوقاحة في اليوم الماضي وفعل ذلك مع سيرينا ايضاً. أيعقل ان يكون هو الرجل نفسه. اين اختفت عدائيته القاسية والتي تظهر كلما اقتربت منه هيلين؟ كان يضحك مع الولدين وهما يحاولان ويصرخان.

وفجأة احست هيلين بأنها لا تريد ان ترى المزيد. انطلقت تبتعد صوب عمق البحر. وعندما قطعت مسافة كبيرة توقفت لترتاح ولم تنظر خلفها تطلعت بإتجاه القرية والاشجار المحيطة بها الى مسافة بعيدة. فوقها كانت السماء صافية، لا غيمة فيها. والشمس حارقة تسكب اشعتها الذهبية على كل الاشياء. استلقت هيلين على ظهرها في الماء وبدأت تطفو بكسل وتحس الماء المالح يجف على وجهها وعنقها مما جعلها ترغب في لعق شفتيها لكنها قاومت ذلك.

ملأ اللون الذهبي عينيها المغمضتين. مزيج من الذهبي والبرتقالي ملأ رأسها ايضاً الذي كاد ينفجر من حرارة اللون ...

«هيلين. الله يتحسره.

كان جيك يناديها من الشاطئ، محطماً بوقاحة الحالة الحلمية التي كانت تعيشها... ناداها «هيلين»، لا آنسة كارتر...

اشارت له بيدها وبدأت تسبح بإتجاه الشاطئ. على الأقل هو يعرف البحر هنا جيداً.

احست هيلين بالملح يقرص جلدها في كل مكان عندما خرجت من الماء ومشت بإتجاه جيك. كان «المايوه» يلتصق بجسمها مظهراً جماله وتناسق تكوينه، لكن لم يبد على جيك انه

لاحظ ذلك او على الأقل هذا ما فكرت به هيلين لنفسها.

«آمل ان لا اكون ازعجتك بطلبي منك الخروج من الماء. لكن الوقت متأخر وكنت في وسط البحر ثم انا اود ان استريح قليلاً».

قال هذا بدون ان يعبر وجهه عن اي شيء.

«بالطبع».

قالت هذا ونظرت الى الطفلين. كانا مستغرقين في اللعب بالماء ورذه في كل مكان فقالت:

«سأفتقد باولو وتوني».

عندما خلع جيك الرقعة السوداء عن عينه ورماها على الرمل بدون ادنى اهتمام توقعت الى جانب منشفة هيلين، طبعاً بدون قصد منه وركض الى الماء من غير ان يقول كلمة. راقبت هيلين يضرب الماء ضربات قوية ومتوازنة. كما راقبه الطفلان ايضاً وكأنهما يتمنيان لو يلحقا به. ابتعد جيك ولم يعد يرى غير رأسه من بعيد. انحنت هيلين وتناولت المنشفة وبدأت تجفف نفسها وهي تراقب الطفلين يضحكان.

تلك الليلة كتبت هيلين رسالة طويلة الى الخال فيليب. لم تكن تظن ان لديها الكثير لتخبره حتى جلست وامسكت القلم فتدافعت الكلمات على الورق امامها. ارادت ان تتجنب الكتابة له عن جيك لرغان لكنها تصورت ان خالها سيستغرب ذلك فقد كان معها عند المحامي عندما جاء هذا الأخير على ذكر لوغان.

كان الوقت ليلاً وقد انهت هيلين كتابة الرسالة. قامت

وتطلعت من النافذة يملأها شعور بالتوتر. ما اجمل الليل في الخارج. ما أشد سواده وحلكته! لو كان معها احد لخرجت وتمشت في الليل. لكن... لم لا؟ لن تخشى من مصادفة جيك اياها فقد رأته وحده في مطبخه يحضر بعض الطعام وقد خلع الرقعة السوداء عن عينه. لم يلبسها منذ ذهب يسبح في النهار. كم يبدو مختلفاً بدون رقعة القرصان تلك - كم يبدو مختلفاً...

لم يكن يصعب على هيلين ان تفهم. لم تتحمل سيرينا منه كل ذلك. ولكن لماذا تكرهه مارشا وهانا - لا بد ان رجولته الظاهرة والعدائية تخيف بعض النساء. لكن ليس هيلين فلديها المناعة الكافية. واستدارت مبتعدة عن نافذة المطبخ، فالنظر اليه يذكرها بأشياء مزعجة... ليست بحاجة لتذكرها هنا...

لبست هيلين صندلها... وفتحت الباب بجرأة، وبالمفتاح اغلقته خلفها بحذر وسارت عبر الممر المؤدي الى الشاطئ. كان اوسع ومضاء افضل من الممر المؤدي الى القرية، ثم كان باستطاعتها ان تراقب نافذة بيته من هنا.

كانت السماء قاتمة ومرصعة بالنجوم وكان كل شيء هادئاً، كم تحب مراقبة النجوم. حاولت التعرف على اسمائها وفي الوقت نفسه كانت تفكر بجيك. يجب ان لا تتأخر، الاشجار كم هي عالية ومخيفة ولا توحي بالأمان ابداً. وبدأت تركض. سمعت صوتاً كأنه صوت رصاصة... وصوت خطوات وراءها، كأن شخصاً ما او شيئاً ما طلع من كل تلك الظلال والخيالات السوداء. لا بد انها صرخت فقد عاد لها رجع صوتها من بعيد وهي راكضة باتجاه البيت. ثم سقطت على وجهها بعد

ان تعثرت قدماها بحجر مختف بين الحشائش. وحاولت بصعوبة التقاط نفسها المتقطع عندما جاء صوت جيك من فوقها:

«لا بأس... انه ليس ما...»

كان يتكلم وهو يضحك هكذا تصورت هيلين.

امسك بها ورفعها عن الأرض. ورغم خوفها واضطرابها لاحظت هيلين السهولة التي فعل بها ذلك.

«سمعت... سمعت...»

بدأت تخبره لكن صوتها خانها ولم تستطع ان تكمل.

«انها عنزة... فقط»

ولم يمكنها تجاهل الضحك في صوته هذه المرة. لكنه كان ما يزال يمسك بها وكأنها ستهرب لحظة يرفع يديه عنها. بدأ صدرها يهدأ تدريجياً ويعود تنفسها الى طبيعته وهي بعد رأت شبح حيوان يبتعد.

فجأة احست هيلين بالاهانة... كانت واقفة هناك تنظر الى النجوم وتفكر به... والآن ماذا حدث؟

وحركت ذراعيها قليلاً فتركها، استدارت وسارت باتجاه البيت، دفعت الباب لتدخل، ثم تذكرت:

«المفتاح!... لا بد انه سقط مني عندما...»

بسرعة عض جيك على شفتيه، لولا ذلك لصدرت منه شتيمة ما. ثم قال:

«لا اظن اننا سنستفيد شيئاً ان فتشنا الآن في هذه العتمة».

ثم اضاف بلهجة العتب:

«لو لم اصرخ واعطك المفتاح ليلة وصولك، لما كانت هناك مشكلة الآن».

استعادت هيلين سيطرتها الكاملة على نفسها. لن تتركه يجعلها تشعر بأنها غبية. لكن ماذا تفعل الآن؟

«حسناً». قالت بهدوء «اشكر مجيئك لتساعدني عندما صرخت. اظن اني تركت نافذة المطبخ مفتوحة، سأدخل منها. تصبح على خير». ومشت بكبرياء نحو الناحية الخلفية للبيت. وبينها وبين نفسها كانت تصلي كي يكون الأمر سهلاً وممكناً.

«والآن جاء دوري حتى اقول حسناً. . .». ثم لحق بها. «اعرف انك تستطيعين تدبير الأمر، لكن دعيني اجرب اولاً. ما رأيك؟».

كانا الآن في الناحية الخلفية من البيت وفي ظلام كثيف كشبحين. واحست هيلين مرة ثانية بذلك الجو الثقيل. هو امامها بجسمه الطويل الأسمر وجاذبيته الغريبة، شعرت برجفة لا يمكن تجاهلها.

«لا شكراً. سأدبر امري».

لمس ذراعها بخفة لكن بتصميم:

«يبدو انك تنسين دائماً. نصف البيت لي وان كسرت الزجاج سأنزعج مثلك تماماً».

ازاحت يده عن ذراعها محاولة المحافظة على هدوئها:

«اكره ان ازعجك».

«سأتدبر الأمر اطمئني».

سأفعل وسأريه ذلك. قالت لنفسها.

لم يقل كلمة ولم ينتظرها بل رفع احدى قدميه الى حافة النافذة وسحب الاخرى وبلحظة كان يقف هناك في ذلك المكان العالي. كانت هيلين قد تركت النور مضاء في غرفة الجلوس وقد تسرب منه ما يكفي لترى شبح جيك الطويل وهو يصارع الزلاج بثقة وتصميم لاحظتهما في كل ما يحاول القيام به ثم صدر صوت قوي من الزلاج. . . انفتحت النافذة على مصراعيها وقفز جيك الى الداخل.

ذهبت هيلين الى الباب الأمامي وانتظرت حتى وصل اليه وفتحه من الداخل.

«شكراً».

قالت مبتسمة وهي تدخل، وكان يراقبها باهتمام.

«كم انت باردة ايتها الزيزفونة».

قال بابتسامة مرحة قلما تراها على وجهه.

نظرت اليه هيلين مركزة على تلك العين حيث كانت الرقعة السوداء من قبل.

«هل تظن ان مساعدتك لي وتسلقك النافذة لفتح الباب يعطيانك الحق في أن تكون وقحاً؟ ان كان الامر كذلك فهيا. اقصد ان كنت تظن انك تستحق شيئاً لقاء شهامتك».

واحست بالراحة فقد فعل كلامها فعله.

هز رأسه ببطء وظهر بعض التشنج حول فمه.

«اجاباتك دائماً حاضرة».

«وهل يزعجك ذلك؟ ام هل تريدني ان اضطرب امام اي شيء تقوله. لا يا سيد لوغان. لن يحصل ذلك. انا متأكدة ان

الكثيرين يتلعثمون امامك. . . لكن ليس انا».

«بالطبع لا. . . فانت معتدة كثيراً بنفسك يا آنسة كارينتر أليس كذلك؟ في كل حال فهذا ما تفعله المدارس الداخلية الباهظة الاقساط للفتيات. . . تصنع منهن سيدات راقيات. . .؟».

«كيف تجرؤ؟» واحمرت وجنتا هيلين. «لم اصادف رجلاً اكثر وقاحة منك في حياتي!».

رفع حاجبيه الكثيفين بكبرياء وشعور بالتسلية.

«ذلك افضل. فقط ذكر النقود يثير غضبك. علي تذكر ذلك».

وقبل ان تستطيع الاجابة على هذه الملاحظة الشخصية، كان قد استدار وخرج.

اغلقت الباب وراءه ووضعت المزلاج باحكام. ستذهب لتغلق نافذة المطبخ وتنزل الستائر قبل ان يدخل بيته ويراها من هناك.

لم تنتبه هيلين الا بعد مضي وقت طويل الى ملاحظته عن المدرسة الداخلية. ترى كيف علم بذلك؟

لم تره ابداً نهار الثلاثاء. كان قد وجد المفتاح ودسه تحت بابها صباح اليوم التالي. امسكت المفتاح في يدها لحظة يملأها شعور غريب مرتبك وهي تتخيل جيك يبحث عنه بين الأعشاب.

ذهبت الى القرية وارسلت الرسالة الى الخال فيليب. ورأت سيرينا والطفلين - تزثرت معها قليلاً ثم ذهبت الى بيت بيل آملة ان تراه، فقد كانت مصممة على الذهاب الى الجزيرة. وقد

قررت ان تذهب بمفردها ان رفض بيل ذلك لسبب ما. نعم ستكتشف كيف يعمل المركب وستأخذه بنفسها. طبعاً كانت تعرف استحالة ذلك لكن هذا ما فعله بها جيك لوغان. اثار جنونها واستعدادها للقيام بالمستحيل فقط. . . اخيراً وجدت بيل في حديقة البيت الكبيرة جالساً في الظل وبيده كأس من الشراب المثلج.

قبل ان تصل اليه اخبرتها هانا بابتسامة مشرقة:

«انه متحمس للرحلة كثيراً، مثلك تماماً. لقد اثرت اهتمامه».

«شكراً يا هانا».

واحست هيلين بالاثارة. قريباً سترى الجزيرة. متألقة من ذلك وتحسه في عظامها. رفع بيل كأسه وسألها:

«أتريدين واحدة؟».

«لا، شكراً يا بيل. جئتك لأرى ما قررت بشأن الرحلة الى الجزيرة».

«ساخذك. سيكون جيك غائباً عن القرية يومي الخميس والجمعة. عندئذ نذهب. فلأهبا بالوقود يوم الخميس ونذهب باكراً صباح الجمعة».

«شكراً. . . شكراً يا بيل».

واحست ان بامكانها معانقته الآن.

«انتظري واشكريني عندما نعود. كم سأشعر بالراحة عندها».

«لا تهتم يا بيل. سأخبره انا بنفسي. سأقول له انني انا

اقنعتك بالذهاب. وليلمني . . . وفي أي حال فهو يلومني على كل شيء لذلك لن الاحظ الفرق».

اطلق بيل ضحكة عالية:

«هل تبقين معنا لوقت الغداء؟».

«اقبل ذلك. في الواقع كنت اود دعوتك انت وهانا لتناول الطعام عندي، لأرد بعض ضيافتكما ما رأيك؟».

«طبعاً. ذلك لطف منك لكن علي استشارة هانا فهي القدير هنا كما تعلمين».

وتم ترتيب ذلك، فقد رحبت هانا بالفكرة وتحمست لها. بعد غداء خفيف معهما ذهبت هيلين الى مخزن القرية لشراء بعض الأطعمة. هذه المرة كان معها كتيب صغير بالمصطلحات البرتغالية مفتوح على صفحة الأطعمة. قضت هيلين ساعات في تحضير الطعام للثلاثة. هيلين تحب تحضير الطعام خصوصاً هنا مع كل تلك الخضار الطازجة المتنوعة. اعدت بعض الاصناف الجانبية ثم الصحن الرئيسي المكون من الخضار واللحم والأرز.

وصلا الساعة الثامنة وبقيا معها حتى الحادية عشرة. قبل وصولهما بقليل ادارت هيلين احدى الاسطوانات التي وجدتها في مجموعة والدها. قضت هيلين وقتاً ممتعاً في التفرج على مجموعة الاسطوانات وفرحت جداً عندما اكتشفت الكثير مما تتذوقه من الموسيقى عند والدها. اضاءت بعض الشموع ووضعتها في منتصف الطاولة مما اضفى جواً جميلاً على المكان.

«ما اجمل هذا يا هيلين».

قال بيل عندما دخل ونظر الى هانا التي ابتسمت موافقة وهي تخلع شالها الأسود المطرز عن كتفيها. كانت تلبس ثوباً طويلاً من القماش الأزرق الناعم وكانت تبدو اجمل من العادة. هكذا فكرت هيلين لنفسها.

«حقاً كل شيء جميل. اهنئك يا هيلين. نحن لا نخرج كثيراً واظنني سأتمتع بهذه السهرة».

وضحكت. وبدأت السهرة بالضحك واستمرت مرحة حتى النهاية. كانت الليلة دافئة والنوافذ مفتوحة لاستقبال النسيم المنعش.

شكراً لله . . . لا احد في البيت المجاور فهو غارق في الظلام. وتنفست هيلين بارتياح. طبعاً لا خوف من مجيئه للسهر معهم. لكنها تصورت ان وجوده قريباً سيكون مزعجاً قليلاً، خصوصاً ان كانت سيرينا معه. ربما كانا معاً في الخارج. وانزعجت هيلين من الفكرة. كانت في المطبخ تحضر فاكهة الاناناس لتقديمها للضيفين. فقط لو تستطيع تجاهله. لكنه ليس بالرجل الذي يمكن تجاهل وجوده.

اخذت الأناناس الى غرفة الجلوس والابتسامة على وجهها. لن تدع التفكير به يفسد عليها السهرة . . . ابداً.

بعد ذهابهما بقيت ساهرة تفكر. ثلاثة ايام فقط ثم تذهب الى الجزيرة. كم هي متشوقة لرؤيتها خصوصاً بعد ان رفض جيك ان يأخذها.

بيل كم هو رجل طيب ومتواضع ويعتمد عليه. وكذلك هانا اخته، وسيرينا. نعم سيرينا لقد احبتها هيلين كثيراً ويظهر ان

الشعور متبادل. لكن غريب! كيف لم يؤثر عليها جيك. فهو يأمرها دائماً ويقرر تصرفاتها وهي تطيع. لكن لِمَ لا يحاول ابعادها عن هيلين؟ كل مرة تلتقي بها هيلين في الطريق تتوقع ان تهرب منها سريعاً. وعندها تعرف هيلين السبب. اخيراً غلبها النوم ورأت حلماً جميلاً. رأت نفسها على جزيرة صغيرة مثل جزيرة الشمس هذه لكن اجمل...

مر الأربعاء ببطء. ذهبت هيلين لتسبح وتستلقي في الشمس. رأت جيك لوغان عن بعد على المركب. ادارت له ظهرها وتطلعت باتجاه القرية.

لم تشعر هيلين بالقدرة على مواجهته. خصوصاً وهي تخفي عنه ما تخفي. تخشى ان ينظر اليها ويقرأ افكارها. هذا سيخيف لكنها غير مستعدة للمخاطرة.

صباح الخميس رأته يترك البيت مرتدياً ثياباً مرتبة اكثر من المعتاد. يحمل على كتفه حقيبة صغيرة وفي يده كيساً كبيراً.

عندما اختفى في اشجار الممر، تنفست هيلين بارتياح، ها هو يذهب اخيراً! سيغيب يومين كاملين وسترى الجزيرة في غيابه وعندما يعود لن يستطيع فعل اي شيء.

مر بها بيل بعد ذلك بقليل واخذها الى المركب. ثم توجه به الى الجهة التي تزود القوارب بالوقود. في الطريق تحدثا عن الاشياء التي قد يحتاجانها للرحلة. تزودا بالوقود وبالماء ثم اعادا المركب الى مرساه.

«انه مركب جيد وسريع. كم انا متشوق لقيادته».

قال بيل بمرح.

«متى نذهب؟».

سألته هيلين.

«باكراً. حوالى الساعة السادسة. ما رأيك؟».

«حسناً».

وافقت هيلين وعيناها تلمعان.

«اوه بيل. كم انا متشوقة للرحلة. شكراً لك».

نظر اليها بابتسامة صغيرة:

«انتظري حتى ننطلق. سأشعر بالراحة اكثر تلك اللحظة».

قال هذا واخرجها.

اوت هيلين الى فراشها باكراً تلك الليلة. وعندما استيقظت في الخامسة من صباح اليوم التالي كان الهدوء يخيم حتى العصافير كانت نائمة وجو من التوتر والانتظار يملأ المكان وقلب هيلين التي ابتلعت قهوتها بسرعة ولبست بنطلوناً رقيقاً من القطن الأبيض وبلوزة بيضاء مطرزة. ووضعت «المايوه» في حقيبة اليد... من يدري قد تسبح عندما تصل الى تلك الجزيرة الجميلة.

اغلقت هيلين الباب وسارت بحذر شديد امام بيت جيك لوغان برغم علمها بعدم وجوده في البيت. اتجهت نحو المركب وهي تفكر ببيل. هل وصل قبلها الى المركب؟ وقررت ان تلقي كل اللوم على نفسها ان عرف جيك بالخدعة. لن تدعه يزعج بيل النبيل. كانت الأفكار تروح وتجيء في رأسها وهي تصعد الدرجات الحجرية وتصل الى الرصيف الخشبي القديم. لحظة ثم تكون في المركب. وخفق قلبها بعنف.

اخذت هيلين بعض الوقت لتستعيد توازنها بعد ان تقربت الى المركب. ثم سمعت اصواتاً من داخله وانحنت قائلة:

«بيل. لقد وصلت!».

نظر اليها من اسفل الدرج. لم يكن بيل. لم يكن بيل ذلك الرجل الذي يتطلع اليها، وبسمة ساخرة تعلو وجهه الأسمر.

انه جيك لوغان.

«اهلاً بك ايتها الشريكة» قال!

٥ - العاصفة

تطلعت هيلين حولها كأنها تبحث عن مهرب. لم تكن تحلم. الرجل امامها بجسمه الضخم ليس حلماً بل حقيقة. ها هو يصعد نحوها. يقترب منها، يقف الى جانبها.

«ماذا تفعل هنا؟».

سألته باضطراب.

«انتظر حضرتك!».

ورفع حاجبه بلامبالاة:

«جاهزة؟ لنذهب اذن... عن اذنك».

وحاول المرور من جانبها ليصل الى المقود. لكنها لم تتحرك.

«اين بيل؟».

سألت بهدوء. انه كابوس. كابوس حقيقي.

«آه، بيل. انه نائم. سهرنا طويلاً ليلة امس».

احست هيلين انه يتسلى وانزعجت. لن تذهب معه الى اي مكان.

«انتظر لحظة. ونظر اليها بأدب واضعاً يديه على المقود. كان يلبس السروال القصير وصندله المعهود. ذقنه بحاجة ماسة الى شفرة الحلاقة. ما اصعب ان تحافظ هيلين على هدوئها امام

رجولته القوية تلك. لكنها تحاول. أجل تحاول.

«يظهر انه حصل سوء تفاهم ما».

قالت بحذر.

«بالطبع. لكن كل شيء على ما يرام الآن. تريدين الذهاب الى الجزيرة. على هذا المركب حسناً سآخذك اليها».

تكلّم بصبر وكأنه يشرح شيئاً لبلهاء او لغبي.

«لن تأخذني انت. بل سيفعل».

«لم لا تنزلين الى المطبخ وتصنعين لي فنجان قهوة. لقد صحوت لتوي من النوم».

كان الموقف مضحكاً. لم يكن لوغان سيئاً كعادته ولا عدائياً لكن هيلين كانت منزعجة لدرجة لم تأبه معها بذلك.

«قلت لك لن اذهب معك الى اي مكان».

«ستفعلين».

ادار المحرك وبدأ المركب يبتعد عن الرصيف.

بغضب وبدون تفكير مدّت هيلين يدها الى مفتاح المحرك الذي رأته يديره منذ لحظات.

«اوقف المركب حالاً».

قالت بعصبية وهو يبعد يدها عن المفتاح بالسهولة التي يكنس فيها ذبابة. ثم قبض على معصمها بقوة بينما كانت يده الأخرى على المقود. لم يكن يمزح.

«كيف تلمسين هذه الأشياء وأنت لا تفهمين شيئاً عنها؟ هيا انزلي الى الداخل. سألحق بك بعد لحظة».

حاولت أن تسحب يدها من قبضته. ماذا لو قررت ان

تقاومه؟ تعرف النتيجة. لا جدوى.

«دع يدي!».

«فقط ان وعدت بحسن التصرف».

واحكم قبضته.

«ليس لدي الخيار».

وبما انها حافظت على هدوئها فربما تستطيع اقناعه بالعودة:

«حسناً سأذهب».

«عظيم».

واستدار نحو المقود. كانت هيلين ترتجف وهي تنزل الدرجات المؤدية الى الحجرة. ثم توقفت عندما رأت أشياءه الى جانب السرير المخرّب. اذن فقد قضى ليلته هنا بانتظارها. كان يعرف كل شيء وهي ظنته خارج البلدة.

كاد رأسها ينفجر. لتصنع القهوة اذن. دخلت المطبخ الصغير لتجد كل شيء جاهزاً فيه. قدحان وعلبة من دقيق الحليب وعلبة القهوة والكبريت. حتى الابريق كان معبأ بالماء. كل ما عليها فعله هو اشعال الغاز. وهذا ما فعلته عندما سمعت صوت خطواته على الدرج خلفها. قال:

«اشرب قهوتي من دون سكر».

«حسناً. تفضل اجلس».

هناك طريقة واحدة للتعامل معه: ان تحافظ على هدوئها... حملت القهوة وجلست قبالته على السرير الآخر.

«سيكارة؟».

«اجل. من فضلك».

ثم قالت:

«ماذا؟ ايمكن ان تخبرني لماذا؟».

اشعل لها السيكارة قبل أن يجيب. كان يراقبها وهي تسحب النفس الأول الذي سبب لها الصداع.

«الأمر بسيط. تريدين رؤية الجزيرة. وها أنا آخذك اليها».

«لم اقصد ذلك. اقصد بيل ماذا فعلت به؟».

«وماذا افعل به. لم افعل شيئاً».

«تعرف ما اقصد جيداً».

وبدأ صبرها ينفد.

«حسناً. في المرة الثانية التي تدعين فيها بيل وهانا الى العشاء في بيتك تكلموا بهدوء. او اقفلوا النوافذ».

اصفرّت هيلين.

«لكنك انت لم تكن في البيت».

«لا، ليس في البداية. ثم عدت وسمعت الجزء الكبير من حديثكم».

«كنت تسترق السمع الآن؟».

«وكيف امنع نفسي عن الاستماع واسمي يتردد. و جنيّة البحر كذلك...».

«يا القذر!».

«انتبهي لكلامك يا آنسة».

«انت لم تقبل فكرة ذهابي الى الجزيرة. لماذا تأخذني الآن؟».

«لعلّي اني غيّرت رأيي».

«لا اصدقك. ولا اريد ان اذهب معك. هل تتفضل

باعادتي؟».

«لا. سنذهب معاً. اليس ذلك جميلاً؟».

وضحك. لكن شيئاً ما جعله يتوقف عن الضحك. بدا الدوار على هيلين التي كانت تحاول اخذ نفس عميق:

«ما بك؟ هل انت بخير؟». وامسك بها.

«دعني اجلس. هل اكلت شيئاً هذا الصباح؟».

جاء صوتها ضعيفاً:

«لا».

ساعدها على التمدد فوق السرير. كانت يداه القويتان لطيفتين. وفتحت هيلين عينيها لترى وجهه قريباً من وجهها. لم تره عن قرب من قبل، يكاد يلتصق بوجهها، اسنانه بيضاء وسليمة، انفه وفمه جميلا التكوين، يوحيان بالقوة. أما عيناه... عيناه تذيبان الجليد ان اراد ذلك. واغمضت عينيها بذعر. ما هذه الافكار!

«اسمعي سأصعد لدقيقة ثم اعود واحضر لك بعض الطعام. ما كان يجب ان تدخني ومعدتك خاوية. انت لا تدخنين؟».

«لا».

اجابته. وبعد أن ذهب، حاولت ان تجلس. لن تعتمد عليه ابداً.

«قلت لك استلقي».

قال وهو يذهب الى المطبخ ويحضر لها بعض الخبز والجبن والمزيد من القهوة.

«هيا كلي. لا سكاكر لك».

«اجل لكن هذا لا يغيّر شيئاً. اريد العودة، لا اريد ان اذهب معك».

«صدقيني ولا انا. لكن عندما عرفت باصرارك.. غيّرت رأيي. هيا دعينا نعلن الهدنة، لليوم فقط. الرحلة جميلة وحرام ان لا نتمتع بها».

قالت بسخرية مرّة:

«هل تقصد انك ستحاول عدم اهانتي اليوم؟ الن تجد ذلك صعباً؟».

«قلت سأحاول. هذا كل ما اعد به».

ورفع رأسه بتحدٍّ. هناك سحر ما في غرور هذا الرجل، في وجهه، في جسده. سحر اشعر هيلين بالضيق والخوف.

ثم حدث ما حدث. حدث كل شيء بسرعة مخيفة. كانا على وشك الوصول. اشار جيك الى صخور قريبة وشرح لهيلين ان هناك فجوة صغيرة تتسع للمركب بصعوبة، عليه المرور بها بحذر كي يصل الى الجزيرة الصغيرة. وفجأة وبدون انذار بينما كان يتكلم اظلمت السماء، وتجمعت الغيوم الرمادية القاتمة... انها حقاً جزيرة العواصف. كان على لوغان ان ينطلق بأقصى سرعة فقد اراد الوصول الى الصخور والمرور من تلك الفجوة قبل ان تنقض العاصفة. ثم بدأ المطر الدافىء الغزير يهطل. رفضت هيلين اقتراح جيك بان تنزل الى الداخل كي لا تبتل. هز كتفيه بلا مبالاة فقد كان مشغولاً عنها. فقط اخبرها ان تتمسك جيداً عندما يطلب منها ذلك. وقفت تراقبه وهو يحاول

المرور بين تلك الصخور المسننة بكفاءة مذهلة. عندها لمعت السماء كلها ودوّى صوت رهيب، انفجار رعد لم تسمع هيلين مثله في حياتها.

صرخت بفزع والقت بنفسها على جيك الذي مال قليلاً وفقد للحظة السيطرة على المركب الذي انحرف باتجاه الرؤوس الصخرية المسننة. ساد الصمت لحظة ثم:

«ايتها الغبية.. ايتها البلهاء!».

وكان غضبه مخيفاً.

هدأت العاصفة بعد ثلاث ساعات طويلة قضتها هيلين في الحجرة ترتجف خوفاً كلما انفجر الرعد. كان جيك يرفض التحدث اليها. وكان يحاول القيام ببعض الاصلاحات المؤقتة في الجانب الذي ضربته الصخور. صعدت الى ظهر المركب لاستنشاق بعض الهواء ولرؤية الجانب المعطوب. كان كل شيء حولها يخبر عن العاصفة الرهيبة. الاشجار المقلوعة، حشائش البحر التي تملأ الشاطىء، حتى لون الماء المخضّر. انحنت هيلين لترى جانب المركب، وشعرت بالأسف. انها غلطتها.

«اجل.. انظري اليه جيداً».

جاء صوته من ورائها.

«اشكري ربك ان الضربة جاءت فوق خط الماء. والا لكنا الآن على عشرين قدماً في القعر».

أحست بفمها يرتجف وبعنف ثم سيطرت على نفسها قائلة:

«اذن.. لا بأس. اقصد نقدر ان نعود ساعة نشاء؟».

«هل تمزحين؟ لا بد انك تمزحين».

ونظر اليها بتينك العينين. كيف خطر ببالها قبل قليل ان له عينين تليبان الجليد. انها الجليد نفسه الآن:

«لا نستطيع الذهاب بالمركب اكثر من عشرين قدماً قبل ان تغمرنا المياه».

«أوه!».

«أوه!».

قلّدها بتهكم. واحست بالاحتقار يملأ صوته.

«اذن، ماذا تفعل الآن؟ بمن تتصل؟».

نظر اليها بدهشة:

«لا افهم. لماذا؟».

انه يصعّب الاشياء. هذا واضح.

«من اجل المساعدة».

«استطيع اصلاح العطب بنفسي».

قال بنفاد صبر.

«كم من الوقت يحتاج ذلك؟».

سألت بخوف.

«بضعة ايام».

«غير ممكن. هذا غير ممكن. ليس هنا... ليس معك..!».

«بل... هنا... ومعي.».

ثم قبض على يدها بشدة:

«كيف تجدين ذلك؟».

«لا... لن ابقى هنا معك».

وسحبت يدها منه.

«حسناً... يا اختي... وما الذي تنوين فعله؟».

سأل بروية.

«استعمل الراديو اللاسلكي. بامكانك طلب المساعدة و...».

توقفت عندما رأت الاحتقار الذي يملأ نظرته اليها.

«نحن بصحة جيدة. لم يصب احد منا. هناك الكثير من الطعام هنا وعلى الجزيرة ما يكفي لحياة كاملة. وتظنين ان الطوارىء ستهرع الينا عندما نطلب ذلك؟».

«استدعِ بيل اذن».

«بيل. بالطبع سأتصل به. سأخبره اننا سنتأخر بعض الشيء حتى لا يقلق. اراهنك انه سيكون في مركبه منتظراً اتصالاً مني، ان لم نعد حتى العاشرة من هذا المساء. لكن لن اطلب منه المجيء الى هنا. لن افعل مع انه افضل صديق لي على الجزيرة. مركبه صغير وليس بالقوة الكافية التي تمكنه من الوصول الى هنا».

احست هيلين ببعض الراحة. على الأقل بيل سيعرف بالأمر. ستكون الى جانب جيك عندما يتصل به. وربما استطاعت التحدث اليه بنفسها.

ابتعدت قليلاً وبدأت تنظر الى الشاطىء الرملي القريب. ما اجمله. وما اجمل ان تكون هنا مع شخص آخر. شخص تحبه وتحب صحبته. كم سيكون ذلك ممتعاً ورائعاً. كل تلك

الاشجار الغريبة والجميلة. الرمال الذهبية. الشمس الساطعة بعد تلك العاصفة القاتمة. وتنفست بعمق وارتياح:

«كيف نصل الى الشاطىء؟».

سألت جيك الذي اخذ يمرّر اصابعه في شعره المبلل.

«هناك قارب من المطاط. سأحضره».

تطلعت هيلين الى ساعتها. كانت الثانية والنصف بعد الظهر. انها تحس بجوع شديد. سارت نحو الدرجات الخشبية والتقت جيك حاملاً القارب المطاطي.

«هل نستطيع... استطيع ان آكل قبل ان نذهب؟».

«اجل. سأقوم بنفخ القارب بينما تحضرين الطعام».

«ماذا تريد ان تأكل؟».

«اي شيء. فأنا جائع. هيا اسرعي».

يتحدث اليها احياناً كمن يتحدث الى طفل.

نزلت هيلين الى المطبخ وأخذت تتساءل ما تراه يفضّل. من المهم ان تحضر شيئاً يحبّه. لا تدري لماذا. ربما للتعويض عن الخطأ الذي ارتكبته. حسناً ستختار الدجاج مع الكاري. معظم الرجال يحبونه. وكم تمنت ان يحب جيك. وضعته على النار ثم اختارت بعض فاكهة المانغا المعلبة ووضعتها جانباً لتفتحها فيما بعد، ثم سمعت صوتاً غريباً خلفها. استدارت لترى جيك مع ماكنة الحلاقة الكهربائية التي كانت تصدر ذلك الصوت:

«ماذا قلت؟».

سألته:

«كنت اقول لسنا بحاجة الى المانغا المعلبة. سنحضر بعض

المانغا الطازجة من الجزيرة. انها الذ ما ذقته في حياتك. كنتما حكيمين جداً انت وبيل حين حشدتما المكان بالأطعمة المعلبة. فمن يدري؟».

لن تدعه يثير غضبها... لن تدعه.

«صحيح... قل لي. هل تفضل ان تحلق ذقنك امام جمهور؟ كنت اظن الحمام المكان المناسب لذلك».

وادارت ظهرها لتكمل تحضير الطعام.

ضحك وقال:

«اعذريني. لقد اغرتني رائحة الطعام الشهية. معك حق. يجب ان انتبه لعاداتي القبيحة في الأيام المقبلة. خصوصاً ونحن نعيش قريبين من بعضنا كثيراً...».

وبدأ يصفر لنفسه مغلقاً باب الحمام خلفه بقوة.

جمدت هيلين في مكانها. لقد قال ما قال لاسكاتها. لكن لن تدعه يعرف الى اي حد يؤثر بها كلامه. تعرف انها لا تريد البقاء معه وتعرف انه لا يميل اليها. رفعت يدها الى رأسها. كم يؤلمها. الخوف هو السبب. كانت هيلين خائفة من جيك لوغان، من البقاء وحدها معه في المركب. وحدها معه في عتمة الليل... اي شيء قد يحدث في العتمة. لكنه لن يعرف. لن يعرف السبب الحقيقي وراء خوفها. السبب الحقي الذي لا تقدر ان تخبره لاي كان.

فجأة تبخر احساسها بالجوع. وعندما وضعت الطعام على الطاولة، والقليل في صحنها. رأى جيك وجهها الشاحب وسأل.

«وما بك؟».

قالت:

«ألم في رأسي»!

ولم تكن تكذب. كان رأسها يؤلمها لكنه لم يكن المسؤول عن شعورها بالمرض.

«حاولي ان تأكلي. ثم خذي قرصين من الدواء. وعندما سأذهب انا الى الشاطئ، اخلدي الى الراحة».

«لا، اريد ان ارى الجزيرة».

«ترينها غداً».

غداً! وازداد وجع رأسها. انه كابوس. لكنه حقيقي. يا لله ماذا ستفعل؟

«هل استطيع ان اسبح. هل المكان آمن. الجو هنا خانق».

«بالطبع. ان كان ذلك يساعدك».

التهم طعامه بسرعة. ثم قام:

«لا تتحركي سأصنع انا القهوة».

اخذ صحنيهما معه الى المطبخ. ثم عاد بعد قليل حاملاً القهوة وقرصين من الدواء.

«خذي هذين مع القهوة. ولا تسبحي قبل مضي نصف ساعة. لن ازعجك ان كنت نائمة عندما اعود».

«شكراً ما هذا؟».

«كودين. لا تنسي انتظري قليلاً قبل ان تسبحي».

وذهب. لا وداع عنده. لا شيء من المجاملات. عندما يكون لديه ما يقول، يقوله والا ظل صامتاً. راقبته عيناها من

النافذة وهو يقفز الى قارب المطاط ويجذف نحو الشاطئ. بلعت قهوتها وقرصي الدواء، واستلقت على السرير.

عندما استفاقت كانت العتمة تغمر المكان. لبضع لحظات لم تعرف عيناها اين هي. جلست في السرير الضيق ثم فجأة سمعت صوته:

«استطيع اشعال النور الآن».

وبهض جيك لوغان من السرير المقابل. رأت شبحه في العتمة وغاص قلبها من الخوف:

«النور.. أرجل من فضلك».

لم تستطع تحمل الفكرة. هي نائمة وهو في الغرفة نفسها. ملأ النور الأصفر المكان وتنفست بارتياح.

«لم اقصد ان انام.. ما الوقت الآن؟».

«حوالى السادسة. خسرت اجمل منظر للغروب ترينه في حياتك».

«ولم اسبح ايضاً. ظننت انني سأستريح لبضع دقائق فقط».

«عرفت انك لم تذهبي للسباحة. فلمست ثوبك عندما دخلت».

«متى تصل بيل؟».

سألت محاولة اظهار الهدوء، لكنها كانت خائفة ومترنحة. لا يجب ان تبقى معه في غرفة واحدة. يجب ان تذهب. لكن الى اين؟

«بعد ساعات قليلة. سأعطيه بعض الوقت ليكتشف اننا لم نعد. عندها اطلبه».

«هل استطيع رؤية الجزيرة؟».

«الآن؟».

«أجل».

ستشعر بالراحة اكثر في الخارج. لن تدعه يعرف ذلك.

«سيكون جميلاً التمشي في ضوء القمر».

وارتعشت لا تريد اعطاءه اية افكار خاطئة. لكن اي شيء افضل من بقائها معه في هذه الحجرة.

«بالطبع متى؟ الآن؟ الا تريدين ان تأكلي اولاً؟».

احست بشيء ما في صوته. بعض الشك ربما. وقالت:

«سأحضر بعض الساندويشات».

بعد نصف ساعة سبقها جيك الى قارب المطاط ثم تبعته وبدأ يجذف باتجاه الشاطئ. كان القمر كبيراً يغطي [illegible] المياه [illegible] ساكباً نوره الفضي عليها.

عندما وصلا قفز جيك الى الشاطئ [illegible]

«انتبهي. لا تفقدي توازنك على الأرض اليابسة. فقد اعتادت رجلاك على حركة القارب».

لم تصدقه الا عندما احست بالأرض اليابسة تحت قدميها. سارا بين الاشجار الكثيفة. اضاء جيك القنديل الذي احضره معه. فقد حجبت كثافة الاشجار ضوء القمر.

«لا تخشي شيئاً سنخرج قريباً من بين هذه الاشجار ولن نحتاج القنديل بعد ذلك».

بالفعل لم يمض وقت طويل حتى خرجا الى شاطئ جميل تحيط به الصخور السوداء ثم البحر. وقفت هيلين في مكانها

مسحورة بالمنظر ولم يعد يهم ان كان جيك عدواً أو لا وهمست:

«كم هو جميل. حتى في الليل. ولا احد يعيش هنا ليراه؟».

«لا. لكن يمكن تغيير ذلك».

وقبل ان تتمكن من سؤاله عن قصده سبقها وما كان عليها الا اللحاق به. كان البحر أسود اللون وثمة بعض الامواج التي سبغها القمر باللون الفضي، تتحرك وكأنها اشياء حية. توقفت هيلين تراقب ذلك وتراءت لها في الماء صور كثيرة. صور اناس يرقصون ويرقصون ثم اختفت الصورة. ناداها جيك:

«ما بك؟».

وانكسرت الرؤيا المسحورة.

اسرعت خلفه.

«كنت اراقب البحر وارى فيه صوراً».

توقعت ان يضحك، لكنه لم يفعل، نظر اليها [illegible]

«احذري من الجنية [illegible]».

«تبدأ بماذا؟».

احست بالفضول.

«الأسطورة: في الزمان البعيد كانت الجنية العجوز البشعة والشريرة تغار من الفتيات الصغيرات. لذا كانت تغريهن وتسحبهن الى البحر. احذري، يقولون انها ما تزال هناك».

بالطبع ليست هذه سوى قصة قديمة ومع ذلك احست هيلين بجسمها يقشعر وسألته باي شكل تظهر. فأخبرها انها تستطيع ان تظهر بالشكل الذي تريده لكنها عادة تجيء كحورية بحر تغني في الليل واضاف:

«ان سمعت غناء هذه الليلة فأغلقي اذنيك».
وجدت هيلين في قوله هذا فرصتها فقالت:
«سأنام الليلة على ظهر المركب».
«ماذا؟».
وقف في مكانه مذهولاً ثم نظر اليها باحتقار رهيب:
«يا الهي. . . أهذا الحد؟».
«لا. . لا. . . الجو في الحجرة خانق. ثم نمت طويلاً بعد الظهر ولا اظنني استطيع النوم هذه الليلة. . . وقد ازعجتك».
كان عليها ان تتحاشى احتقاره بأي طريقة.
«اسمعي جيداً. دعينا ننهي الموضوع مرة واحدة. الا تظنين انه يجب ان أميل اليك قبل ان ارغب في مغازلتك؟ هل تفهمين ام اشرح اكثر؟».
«افهم جيداً. لكني لن انام في الحجرة معك. هذا كل شيء. لو كنت اعرف الجزيرة جيداً لنمت هنا. سأنام الليلة على ظهر المركب. لن اقضي الليل في حجرة واحدة معك».
وبدأت تمشي لكنه قبض على ذراعها بعنف وهو يغلي من الغضب:
«لا تثيري غضبي اكثر من ذلك. تعرفين كم احاول ضبط اعصابي معك. لكنك تستفزينني بشكل غير معقول».
رفعت وجهها اليه بتحدٍ واحست بالنار تحرق ذراعها تحت اصابعه:
«وماذا تنوي ان تفعل؟ تضربني؟ بالطبع لا احد هنا يرى او يسمع. اعرف جيداً انك لا تميل اليّ كما قلت بتهذيب. اكون

غبية ان ظننت غير هذا. لكنني لا استطيع النوم مع اي كان في غرفة واحدة. . . ليس الأمر شخصياً ابداً».
«وهل تريدينني ان اصدق ذلك؟».
صرخ بغضب.
«اسمعي لقد نعتني بالكذب من قبل. ولن اسمح لك بذلك مرة اخرى».
بدا غضبها هي ايضاً يكبر.
«حقاً، وما الذي تنوين فعله؟ صفعي كما فعلت في السابق. أنصحك ان لا تفعل. يصعب علي كثيراً ان لا ارد الصفعة بأقوى منها».
«اعلم ذلك. وكما قلت فهنا لا احد يراك ولا احد يسمع. تريد ضربي الآن؟».
ولمعت عيناها كالنار. ورفعت ذقنها الصغير الى اعلى بكبرياء. لم تكن تعرف كم كانت تبدو جميلة تلك اللحظة في ضوء القمر الغامر شعرها ووجهها الناعم.
لكن جيك رأى ذلك كله وبدأ تنفسه يثقل. وصوته يخفت عندما اجابها:
«لا أقاتل نساء».
«حقاً؟».
وسحبت ذراعها من يده.
«وماذا تظن نفسك تفعل الآن؟».
«انت بدأت كل شيء. افكارك السخيفة عن قضاء الليل معي. كم عمرك الآن؟ تتصرفين وكأنك طفلة في الرابعة عشرة

من عمرها وقد. . .».

وسمع شهقتها، ثم بدأت تركض. . . وتركض هاربة منه. جمد جيك في مكانه للحظة ثم لحقها فهي لا تعرف مخاطر الجزيرة.

«هيلين!».

ناداها. لكنها استمرت في الركض وفي رأسها تطن كلمات قليلة:

«انه يعرف. . . يعرف. . .».

وصل اليها واخذها بين ذراعيه. استدارت ونظرت اليه. لم تره بل رأت ذلك الرجل الآخر. . . الرجل الذي. . . وصرخت:

«اتركني. . ارجوك. . . اتركني. . .».

وبدأت تدفعه عنها وتضربه على صدره بكلتا يديها وبكل قوتها. . وتنتحب. . ثم سمعت صوت جيك وكأنه آتٍ من مكان بعيد:

«هيلين. . . ما بك. . ماذا جرى؟».

وهزّها بعنف ليعيدها الى وعيها.

مددها على الرمال واحست بيديه تلمسان وجهها. فتحت عينيها لترى وجهه قريباً جداً من وجهها. لم يكن غاضباً الآن:

«آسف. هل آلمتك عندما هززتك بشدة. كان علي ايقاظك مما كنت فيه؟».

«لا بأس».

وبدأت تستعيد بعض قوتها.

«اريد ان اجلس».

وضع يده خلف ظهرها بلطف وساعدها على الجلوس.

«دعني اقف، ارجوك».

ونظرت اليه. غضبه اختفى. يداه لطيفتان عندما ساعدها على الوقوف.

«آسفة لأني صرخت. لم يكن ذلك بسببك. . .».

قالت شبه هامسة.

«اعرف. . هل نعود الآن؟».

«لا. . اريد ان ارى الجزيرة. وان اشرح لك شيئاً».

«لا داعي لأن تشرحي لي أي شيء يا هيلين. سنمشي قليلاً لأريك الجزيرة. المكان صغير».

مشيا جنباً الى جنب بصمت لم يكن ثقيلاً. ارتعشت قليلاً فسألها ان كانت تحس بالبرد وتريد العودة. اجابت بالنفي. ثم وقفت ورفعت وجهها الى السماء. اخبرته ان النجوم تسحرها وتحب هي تأملها كثيراً. وقف الى جانبها صامتاً. ارتعشت هيلين ثانية. احست بشيء ما في الجو حولها. كل منهما كان يشعر بوجود الآخر الى جانبه. عرفت هيلين ذلك. وعرفته اكثر عندما ابتعد عنها فجأة وقال:

«الافضل ان نعود الآن، ستصابين بالزكام».

«نعم».

ترى هل احس هو بذلك الجو المتوتر. أمن اجل ذلك استطاعت ان تسمع صوت تنفسه بذلك الوضوح؟ ومد يديه الى جيبه قائلاً:

«سأدخن سيكارة. هل تريدين واحدة؟».

شكرته فهي لم تأكل الّا القليل ذلك النهار. اشعل جيك سيكارة. وللحظة رأت وجهه يغمره النور وجهاً قوياً... ورأت فيه ما لم تكن تريد ان ترى... رأت فيه لطفاً وحناناً...

تابعا السير وجيك يرفس الاشياء بقدميه، باحثاً عن قطعة خشب يحتاجها لاصلاح المركب.

«سيكون الأمر اسهل في النهار... غداً اساعدك بالبحث».

قالت هيلين.

«معك حق. ثم يجب ان نعود لنتصل ببيل. لا بد ان باله بدأ ينشغل الآن».

«مسكين بيل. كم انا آسفة بالنسبة...».

بدأت تتكلم ولم يدعها جيك تكمل ووضع يده بلطف على ذراعها.

«لا تقولي ذلك. انا الذي ألقي باللوم عليك، جعلتك تظنين ان ما حدث كان بسببك. كان ذلك سيحدث في اي حال... فقد فقدت السيطرة على المقود للحظة. لم تكوني انت السبب كان هنا شيء آخر...».

«وجعلتني اظن...».

توقفت وهي تشعر بمزيج من الراحة والغضب.

«... كنت غاضباً. اذا كنت تريدين الانتقام.. فهيا...».

لم تصدق ان الواقف امامها هو جيك لوغان بنفسه.

«لا بأس. لقد عذبني الشعور بالذنب. انا مسرورة جداً لأنك اخبرتني ذلك».

وبدأت ترتعش من جديد.

«هيا، يجب ان نعود الآن. اعرف طريقاً مختصرة. اتبعيني».

وصلا الى المركب. طلب منها جيك ان تجلس وترتاح بينما كان هو يحضر شراباً ساخناً. وبالفعل احست بالراحة بعد ان ابتلعت كوبين من الشاي المنعش. قال جيك وهو ينظر اليها بلطف:

«هذا افضل. لقد عاد اللون الى وجهك الآن. سأحاول الاتصال ببيل. يمكنك الصعود بعد ان ترتاحي قليلاً ان كنت تريدين التحدث اليه. وبالمناسبة سأنام انا على ظهر المركب. نامي انت هنا وبامكانك اقفال الباب، لكن اذا امطرت فسأقرع عليك حتى تفتحي. مفهوم؟».

«انا سأنام فوق.. ارجوك».

قالت بعصبية. رفض بحزم. حاولت ان تشرح له سبب خوفها من النوم في غرفة واحدة مع رجل. لم يبد اي اهتمام. لم يرد ان يعرف. لكنها اصرت واخبرته بسرعة عن احد ازواج امها الذي حاول التعرّض لها ذات ليلة وهي ما تزال في الرابعة عشرة من عمرها. وضع جيك ذراعه حول كتفيها فقد كانت ترتجف وهي تخبره بالقصة:

«لا بأس. كل شيء انتهى الآن. لا تخافي. انت في مأمن معي. لن اؤذيك. هيا اكملي شرابك».

قال هذا وابتعد مسرعاً. هكذا فجأة يتحول من شخص

حنونه ودافىء الى شخص لا يبالي بشيء. يا الهي لا تقدر هيلين ان تفهم هذا التحوّل السريع. لا بد انه تذكر ما فعل بسيريتا المسكينة. وشعرت هيلين بالغثيان. شعرت بالقشعريرة. اي نوع من الرجال هو؟ هل ستعرفه على حقيقته يوماً؟ لم تكن متأكدة انها تريد ذلك.

لحقت به الى فوق حيث كان يدير رقماً ما. وسمعت صوتاً ضعيفاً من الطرف الآخر. لا بد انه بيل. اخبره جيك بما حصل وسأله ان كان يريد التحدث الى هيلين. ثم استدار اليها وسألها. رأت هيلين في وجهه عدم رغبته في ذلك. فأجابت بالنفي. انتهت المكالمة ومرّت لحظات صمت صعبة. انكسرت حدتها عندما تحرّك جيك قائلاً انه سيحضر فراشه الى ظهر المركب ثم يأكلان شيئاً خفيفاً قبل ان يأويا الى النوم. وهكذا كان.

حمل جيك فراشه وغطاءه وصعد الى السطح. نادته هيلين من اسفل قائلة انها لن تقفل الباب فقد تمطر السماء...

٦ - لا أقاتل رجالاً

أفاقت هيلين من نومها عندما سمعت صوتاً غريباً ونظرت من النافذة لترى المطر يهطل بغزارة. المطر! وجيك ينام في الخارج! جلست بسرعة، يجب ان تناديه، لا بد انه يقطر ماء الآن. وفي اللحظة التي مدت يدها الى ثيابها سمعت حركة في السرير المقابل. نظرت لتراه ملتفاً بالغطاء ومكوماً على السرير.

«لا بأس. صحوت قبل ان تمطر بلحظات. ونزلت الى هنا».

فجأة انتبهت هيلين انها في ثيابها الداخلية فقط. سحبت الغطاء بسرعة الى اعلى عنقها.

«اوه. كنت على وشك مناداتك».

«تخيلت ذلك. هيا عودي الى النوم. لا ترهقي نفسك».

«ما الوقت الآن؟».

«حوالى الثالثة صباحاً. قد ترعد الآن. هل يخيفك ذلك؟».

اجابته بالنفي واستأنفت النوم. عندما استفاقت ثانية كانت الشمس مشرقة وكأن الطقس لم يمطر في الليل وجيك ما زال مستغرقاً في النوم. سحبت هيلين المايوه وثيابها من جانبها وحملتها معها كل الوقت خوفاً من ان يستيقظ ويرى عريها. كان

وجهه هادئاً لا قوة فيه. قامت من فراشها وذهبت باتجاه الحمام. وقفت قربه لحظة تتأمل وجهه. رموشه الطويلة وكأنها رموش امرأة. وجهه الأسمر الجميل. كم كان كاملاً في النوم.

رغبة مجنونة في لمس وجهه. لا لن تفعل. اسرعت الى الحمام هاربة منه ومن افكارها.

كانت الساعة السابعة. ارادت هيلين ان تسبح قليلاً. وقبل ان تذهب غسلت الثياب التي كانت تلبسها في الأمس وسارت بهدوء باتجاه السطح.

«اين تذهبين؟» فاجأها صوته. اخبرته.

«هكذا دون ان اعلم؟ ماذا لو حصل لك شيء؟» كم تكره هيلين ان يكلمها كما يكلم طفلة عنيدة.

«لن ابتعد كثيراً».

وصعدت مسرعة.

كان الماء منعشاً لا بارداً ولا دافئاً. سبحت هيلين نصف ساعة ثم عادت شاعرة بالجوع. وجدته جالساً يأكل ويشرب القهوة. دخلت الحمام الصغير وحاولت ان تجفف جسمها والمايوه. ليس لديها ثياب غير ثيابها المبلولة. ستبقى في المايوه حتى تجف. ذهبت الى المطبخ حضرت لنفسها شيئاً لتأكل وقهوة واتت لتجلس مع جيك.

«في المايوه؟».

قال بعنف. فاخبرته ان ثيابها تجف على السطح.

قام الى خزانة في الممر واحضر لها بعضاً من ثيابه التي اخبرها انه يحتفظ بها للطوارىء. خرج الى السطح تاركاً لها المجال

لتخلع المايوه المبتل. عندما انتهت هيلين من ذلك نادته ليعود.

«شكراً سيد لوغان».

قالت بأدب:

«اعتقد انه بامكانك مناداتي جيك؟ لم يناديني احد سيد لوغان منذ ثماني سنوات. وذلك يثير عندي ذكريات لا احبها.

«حسناً...».

قالت هيلين. هكذا اذن ليس لأنه يريد ان تكون اصدقاء بل لأن ذلك يثير عنده ذكريات مزعجة. ترى اي ذكريات تلك. بالطبع لن تجرؤ على السؤال والا اثارت غضبه. هي في غنى عن ذلك. مع ان السؤال يعذبها.

«سنعود الى الشاطىء الآن».

ثم قام واحضر كيساً كبيراً حمله تحت ابطه. ثانية ارادت هيلين ان تسأل. وثانية لم تفعل. لقد عاد ذلك الجو المشحون بينهما. ذلك التوتر الغريب. ستحاول ان تحافظ على هدوء اعصابها. ذلك اسلم معه. قامت مسرعة واخذت الصحون والفناجين الى المطبخ. لن تغسلها الآن. لا يجب ان تدعه ينتظر فهو يكره ذلك.

عندما وصلا الشاطىء حذرها جيك من المشي حافية القدمين. فكما قال هناك نوع من العناكب الكبيرة السامة وعدا ذلك فهي في مأمن من كل شيء:

«الا منك». قالت هيلين لنفسها.

«انا ذاهب لقطف بعض الفاكهة. اتأتين معي؟».

«لا شكراً. اريد التجول في الجزيرة واكتشافها».

وسارت بالاتجاه الآخر.
«ومشى نفسه.»

واختفى بين الأشجار بعد ان نظر اليها من اعلى الى اسفل.

كم يكون بشعاً احياناً. لماذا؟ لماذا؟ مع ان باستطاعته ان يكون لطيفاً وساحراً. اما الآن فيا هو الا وحش. الأفضل ان تبتعد عنه.

وجدت هيلين صخرة كبيرة مسطحة تطل على البحر. جلست عليها واخذت تتطلع الى البحر وتحلم. اذن والدها كان هنا. ترى امن اجل هذا كره لوغان ان يرافقها. ربما، وربما لأنه يضيع وقته معها. ترى كيف تكون الأشياء لو كانت برفقة نيل على الجزيرة. ستكون الأشياء اجمل. سيضحكان معاً. يقطفان الفاكهة معاً. اما مع هذا الجبك لوغان!

وقامت هيلين من مكانها وانطلقت تمشي بدون هدف. مرت من المكان الذي سارا عليه الليلة الفائتة. تذكرت ذراعه القوية الدافئة حول كتفيها. كم اراحها ذلك وكم تمتعت به. ترى هل تتمتع سيرينا عندما يضمها هكذا. اندفع الدم الى رأسها لمجرد التفكير بذلك وحاولت ابعاد الفكرة.

بعد قليل خرجت من بين الأشجار الكثيفة الى منظر جعلها تشهق. يا الهي ما هذا الجمال! منطقة واسعة يملأها العشب الكثيف وكل انواع والوان الأزهار. في نهايتها جدار صخري. تنساب فوقه مياه نبع... ايكون هذا سراباً؟ مياه النبع تنزل من بين الصخور لترتاح في حوض طبيعي من الحجر. والأزهار التي تحيط به من كل جانب. الأزهار الغريبة الملونة. جلست هيلين

في مكانها واحست بالدموع في عينيها. رباه ما اجمل هذا كله. لو كان لها بيت هنا لعاشت بسعادة الى الأبد. جمدت. لم ترد ان تتحرك خوفاً من ان يختفي كل ذلك السحر.

سارت ببطء نحو النبع، وضعت وجهها في مياهه الباردة وشربت. كم كانت محظوظة حين أتت الى هنا وحدها، اي شخص آخر كان سيشوه اكتشافها هذا، خاصة هو. اخذت تحلم ببيت هنا. كانت ترى حجارته البيضاء وسقفه الأحمر، كانت ترى بابه المفتوح.

«وجدته اذن.»

كان ذلك صوت جبك لوغان بقامته الطويلة المعتدة، يحمل كيسه الثقيل وينظر اليها.

«لم تتحركي من النبع؟»

قالت. كم ارادت لو تخبره عن احلامها ببناء بيت هنا، عن روعة المكان وسحره. لكن لن تفعل. لن تخبره هو ابداً. قامت من مكانها معبرة عن رغبتها في العودة. تركته يسير امامها فهو يعرف الطريق. عندما وصلا داخل القارب اخرج من الكيس اشكالاً غريبة من الفاكهة... اشكالاً والواناً لم ترها في حياتها من قبل. احضر جبك سكيناً وقشر لها احداها. كانت الذ مذاقاً ذاقتها في حياتها.

بعد ذلك اخبرها برغبته في البدء بالعمل، عرضت عليه المساعدة، فنظر اليها نظرة فاحصة من اعلى الى اسفل قائلاً:

«وانت؟»

اغضبها ذلك:

«وانا قوية كثيراً. صدقني».

ولحقت به الى الخارج. بدأ ينشر الجذع الذي وجده على الجزيرة. كان للمنشار قبضتان. احداهما كانت من نصيبها. لم يمض وقت طويل حتى بدأ العرق يتصبب فوق جبينها. وبدأت ذراعيها تؤلمها. لن تدعه يعرف. ستستمر بالعمل. لن تتحمل نظرته المتهكمة. كم تكره تلك النظرة. مع كل ذلك هناك حرارة الشمس، والوجع في اصابعها. وبدأت هيلين تفقد توازنها:

«ما بك؟ هل تعبت؟».

«لا... ابداً فقط اعدل وقفتي».

ما العمل. انه قوي ومعتاد على ذلك. اما هي، وبدأت قدماها تخذلانها.

«هيا. اجلسي عملت ما فيه الكفاية».

قالت:

«عطشانة فقط».

«انا ايضاً. النبع قريب من هنا. العمل ينتظر. هيا».

وسبقها الى النبع. شرب وغسل وجهه وذراعيه ثم استدار قائلاً:

«النبع كله لك... خذي وقتك».

شربت هيلين الماء البارد بنهم، رشت وجهها وشعرها وذراعيها. كان الألم يسري في جسدها كله. لم تستطع الوقوف. جلست بضع دقائق. ثم تحاملت على نفسها وعادت اليه.

«لن تعملي اكثر، اخذت كفايتك».

قال بحزم. حاولت الاحتجاج لكنه رفض باصرار. جلست تراقبه. ما اوسمه. كم هو متقن عمله. لم تتوقف عن مراقبته الى ان قال:

«يكفي هذا الآن. هل بامكانك حمل بعض القطع الى المركب؟».

«بالطبع».

قالت واخذت ثلاثة قطع. كم هي ثقيلة!

كانت تريد ان تسأله كم من الوقت يستغرق اصلاح القارب، لكنها لم تجرؤ، ربما استطاعت معرفة ذلك هذه الليلة عندما يكلم بيل عبر اللاسلكي. فجأة وبدون اي سبب واضح احست بتعاسة كبيرة تملأها.

بعد ان وصلا المركب اخبرها انه ذاهب يتصيد السمك للعشاء. وانه بامكانها غسل الصحون في غيابه. ثم اختفى.

«هكذا! اذن!».

قالت هيلين لنفسها بصوت مسموع.

«سأذهب لاحضر الطعام – اغسلي الصحون انت. انا طرزان وانت جين».

وابتسمت بمرارة. فجأة طافت برأسها فكرة غريبة. ماذا لو اضطرا للبقاء هنا مدى الحياة؟ بالطبع لن يحدث ذلك. ان حدث سيكون هو المسؤول وسيوفر لها كل شيء. انه قادر وحاذق، لن يجوعا ولن يعطشا، لكن هل سيتغير، هل سيصبح اكثر انسانية؟ امر صعب عليه بدون شك.

بدأت هيلين تغسل الصحون وتفكر. لو يتغير كل شيء

سيفعل. الم تره في لحظات السابقة؟ كم يكون رقيقاً وجذاباً، عندما يرغب في ذلك. لكنه لا يرغب... ليس معها... ابداً.

«كم اكرهك».

قالت بصوت مسموع وهي تغسل القدح الذي شرب منه القهوة.

«اكرهك».

وضغطت بكل قوتها على القدح حتى كادت تكسره وحتى آلمها يدها. كانت تعرف ان ما قالته ليس صحيحاً تماماً.

عاد جيك سريعاً مع سمكة بيضاء كبيرة. غسلها وبدأ يشويها. حضرت هيلين الصحون بمرارة. ترى هل يعود الى العمل بعد ان يأكل. لا تستطيع ان تسأله. عليها ان تنتظر، ها. انه الشيء الوحيد الذي يمكنها فعله معه. الانتظار. انتظار ما يقول، وما يفعل، وما يطلب. زمت شفتيها وشعور بالقهر والغضب يملأها ويظهر على وجهها.

لمحها جيك في تلك اللحظة ورأى التعبير المر على وجهها. استفسر:

«ما الأمر؟».

اجابت بتحد.

«لا شيء».

نظر اليها بحدة:

«لا شيء... ها؟ هيا.. اوضحي الآن».

أدارت هيلين ظهرها وذهبت الى المطبخ. لحق بها مثل لمح

البصر. امسك بها من كتفيها وادار وجهها نحوه:

«لا تتركي المكان وانا اتحدث اليك يا آنسة».

كم كان صعباً عليها ان تضبط اعصابها. كم ارادت لو تصفعه. لكن لا لن تنزل الى مستواه.

حدقت به بجرأة:

«عديم الاخلاق، نسيت انك انت الذي كان يتحدث اليّ».

السخرية في صوتها اشعلت غضبه وبدأ يضغط على قبضتيه بشدة ويصر باسنانه.

نظرت الى قبضته وقالت:

«تريد ان تقاتل، آنسة... لا اقاتل رجالاً...».

وادارت له ظهرها.

امسك بها بعنف وادارها نحوه:

«كم انت وقحة».

«حقاً؟».

اجابت. وكانت قبضته تؤلم ذراعيها المتعبين. امتلأت عيناها بالدموع. لا. لن تبكي. لن تبكي امام هذا الوحش. ولن تقاوم ايضاً. تقلص وجهها بشدة وارخى قبضته عن ذراعيها. احست هيلين تلك اللحظة ان توتره لا يقل عما تشعر هي به. احست ان شيئاً ما سيحدث... شيئاً رهيباً.

تحرك نحوها، وكلمح البصر اخذها بين ذراعيه. حاولت ان تقاوم في البداية ثم استسلمت. توقف الزمن وجمد العالم في مكانه. تركها فجأة وعلى وجهه تعبير مخيف لم تره من قبل. ثم استدار وترك المركب.

كانت هيلين تجلس على حافة السرير عندما عاد، لم ترفع عينيها عن المجلة التي كانت تقرأها. تحاشت النظر اليه لئلا يرى الدموع في عينيها. علامات اظافره لا زالت ظاهرة على ذراعيها. تؤلمها. لن تزعج نفسها بأمر الطعام. ليتدبر هو ذلك. تلك اللحظة انتبهت هيلين ان المجلة القديمة بين يديها مجلة برتغالية لن تفهم منها شيئاً. لا بأس بامكانها التفرج على الصور. اختفى جيك في المطبخ ثم عاد بعد قليل وقال:

«الغداء جاهز».

لم تكن هيلين تشعر بالجوع، لكن يجب ان تأكل كي تحافظ على قوتها التي بدأت تخونها. لم تكن غاضبة او مقهورة، فقط منهكة لن تجادله بعد اليوم. فقط ستطيع اوامره. ذلك اسهل. حاولت ان تأكل، لم تقدر. اخذت صحنها الى المطبخ وبدأت تعد القهوة.

«اجلسي انت. سأعد انا القهوة».

عادت الى مكانها. جاء هو بعد قليل بفنجاني قهوة. نظر اليها قائلاً:

«سيكارة».

اجابت بالقبول واشعلها لها ثم قال:

«هل تنتظرين مني الاعتذار لما حصل؟».

«لا».

اجابت باستغراب فلم تتوقع ان يثير الموضوع.

«حسناً. لم اكن انوي ذلك. لكن ما هذا على ذراعيك؟ لم اكن اعلم اني فعلت بك ذلك. لم لم توقفيني؟».

«وهل كنت بحالة تسمح لي بذلك؟».

«انا آسف».

«لا بأس. ذراعي تؤلمني اصلاً، لست متعودة على نشر الخشب».

«لماذا لم تخبرني ذلك منذ البداية؟».

«اردت المساعدة».

اجابت ببساطة واضافت:

«لم تخف ان تسخر مني ان لم افعل».

قالت ذلك وشفتاها ترتجفان.

«يا الهي، انك ترتجفين كورقة يابسة. قولي أخائفة مني؟».

«اجل، اخافك، لهذا قررت ان لا اجادلك، بل افعل كل ما تطلبه مني. انت لا تعرف مدى قوتك».

لم يعبر وجه جيك على شيء لحظة ثم قال:

«اتريديني ان اصدقك؟ انت لا يخيفك شيء».

هكذا اذن يظنها تمثل. كيف تقنعه بصحة ما تقول، لا لن تحاول، ولا يهمها ان تحاول. انها متعبة.. متعبة.

عندما اوت هيلين الى فراشها تلك الليلة كانت في رأسها صور كثيرة عن احداث ذلك النهار. استعادت تفاصيله كلها خصوصاً المحادثة التي جرت بين جيك وبيل في المساء. معظم الحديث عن المركب واصلاحه لم تفهم منه شيئاً. الشيء الوحيد الذي ازعجها كثيراً هو قول جيك انه لن يستطيع العودة قبل يوم الاثنين او حتى الثلاثاء. ثلاثة ايام اخرى مع جيك على الجزيرة! هذا لا يحتمل! تذكرت ايضاً كيف سألها جيك بعد

انتهاء المكالمة:

«حسناً لقد سمعت. هل لديك ما تقولينه؟».

اجابت:

«لا، انت المسؤول هنا».

قال بهزء:

«لم اكن اظنك لاحظت ذلك».

ثم بعد لحظة صمت قال:

«هل تقترح ان نسحب المركب الى الشاطىء لاصلاحه هناك».

«هل ستفعل؟».

«لو اضمن سهولة اعادته الى الماء لفعلت».

«وهل يكون اصلاحه اسهل على الشاطىء؟».

سألت. «اي شيء، اي شيء، فقط لنعود من هذا المكان».

«نجرب ما يمكن» اجابها.

«اجل».

«هل استطيع ان افعل شيئاً».

سألت بحماس.

«تساعدني في دفعها».

«سافعل... سافعل».

«كم انت متشوقة لمغادرة هذا المكان؟».

«وانت؟».

لم يجب بل اخذ يبحث في جيوبه عن سيكارة:

«اتريدين واحدة؟».

«لا. لم يبق معك الكثير».

«لا يهم عندما تنفد السكائر، لا ادخن».

«بالطبع ربما لن نشعر بالرغبة في التدخين ايضاً. لا يهم شيء».

«حسناً. آخذ واحدة».

لم يكن سيئاً حينذاك اشعل لها السيكارة بتهذيب. وراحا يتحدثان عن المركب وكيفية دفعه الى الشاطىء. كان الحديث ممتعاً وكان هو لطيفاً. غريب امره، رغم كل وقاحته وخشونته لديه جانب متحضر. ترى من اين جاء؟ كيف كانت طفولته؟ من يكون هذا الرجل؟

افكار كثيرة شغلت بال هيلين الى ان استغرقت في النوم. استفاقت صباح اليوم التالي على احساس رهيب. ظن انها لن تستطيع الحركة بعد اليوم. رباه ما هذا. امر مرض [illegible]. ذراعاها، عضلاتها، ظهرها، احستها كلها [illegible] الالم. حسبتها كما لو كانت مشلولة. ثم تذكرت، انه [illegible] الحطب في اليوم الفائت.

حاولت ان تجلس بدون فائدة. عضلاتها كلها متصلبة ويابسة. بدأت تضحك وتبكي. تضحك لغبائها الذي اوصلها الى هذه الحال وتبكي من الالم.

دخل جيك تلك اللحظة:

«ما بك؟ رأيتك من النافذة».

«لا استطيع ان اتحرك. ساعدني ارجوك».

اقترب منها. اسند ظهرها بيده وساعدها على الجلوس.

«لا اصدق ان احداً يوصل نفسه بغباء كهذا الى هذه

الحال».

«شكراً لعطفك. لكنني لم اكن اعرف ان هذا سيحصل، ام تظنني عرفت؟».

«هيا. . . يجب ان نفعل شيئاً والا ستسوء حالتك».

«وماذا يمكن ان نفعل؟».

«سأحضر بعض المرهم وادلكك به».

«لماذا لم تقترح ذلك ليلة امس؟» صرخت بغضب.

«وهل كنت اعرف. لم تقولي شيئاً. هل انا قارىء افكار؟».

«حسناً».

لم تكن هيلين قادرة على الجدال.

«هل تتكرم باحضار المرهم لأدلك جسمي؟».

«انت تفعلين ذلك؟ كيف وانت لا تقوين على الحركة؟ ها؟».

«لا تشغل بالك. سأتدبر امري».

«لا تكوني غبية. انا سأفعل ذلك».

«لن تفعل».

اختفى لحظة في المطبخ ثم عاد بزجاجة مليئة بمرهم اصفر.

«اعطني اياه من فضلك».

قالت محاولة مد يدها.

«هيا خذيه».

قال هذا ماداً يده بالزجاجة بعيداً عن متناول يدها.

«ايها الوحش، تبعده عن قصد».

«انتبهي لألفاظك ايتها الآنسة. غريب ان تستعمل آنسة مهذبة الفاظاً كهذه. لم اقصد اغاظتك. فقد اردت ان ابرهن

لك انك لن تستطيعي تحريك يديك ولا وضع المرهم على جسدك. هيا اديري ظهرك وارفعي القميص».

تلفت بصعوبة:

«لا. ارجوك».

«اسمعي يا امرأة، اتظنين ان لي غاية في ذلك، لا تكوني حمقاء هيا اديري ظهرك».

وضع الزجاجة على الطاولة وحمل هيلين كما يحمل طفلاً. مددها على السرير وبدأ يدلك جسمها بالدواء.

اخفت هيلين وجهها تحت الوسادة وعضت شفتيها. كانت لمساته سحرية. قوية ولطيفة في الوقت ذاته. كم احبت ذلك. لكن لن تدعه يعرف.

«اتشعرين بتحسن؟».

«اجل شكراً».

«حسناً استريحي قليلاً بينما احلق ذقني ثم تتناول الفطور».

قال هذا واختفى عن نظرها مغلقاً باب الحمام خلفه.

حاولت هيلين مغادرة السرير. ووجدت ان الألم قد خف كثيراً. انزلت قدميها وجلست على الحافة في اللحظة التي فتح فيها جيك باب الحمام. التقت عيناه بعينيها للحظة دافئة جعلت موجة عارمة من العاطفة الحارة تملأ قلب هيلين. سألها:

«احسن؟».

«نعم. شكراً يا جيك. سأحضر الفطور».

ذهبت الى المطبخ وابتسامة ذات معنى تعلو وجهها. ابتسامة امرأة تعرف تأثيرها على الرجل الواقف امامها.

٧ - الحقيقة

كان نهار الأحد حاراً جداً. العرق يقطر من جسم جيك ووجهه، وهو يعمل جاهداً لحفر الرمال القريبة من الشاطىء، وجعلها مستوية بعض الشيء كي يتمكن من دفع المركب اليها. تمنت هيلين لو يتوقف. لكن لم تجرؤ، وجلست تراقبه، بعد قليل مدت يدها ولمست ذراعه بلطف. نظر اليها وهو يمسح العرق عن عينيه فقالت:

«ساحضر لك بعض الماء البارد من النبع. او هل تريد لبنة؟».

«ماذا؟ الا تريدين ان انتهي من العمل بسرعة لتعودي؟».

«لكنك. . .».

«لكنني ماذا؟» قال بنفاد صبر.

«لكنك ترهق نفسك وقد تمرض».

«آه. . . مثلك البارحة. . . سيكون ذلك جميلاً يعطيك الفرصة لتدلكيني!».

عبثاً الكلام معه. مزاجه جاف وغريب اليوم. تركته هيلين وسارت باتجاه النبع. انه مكانها السري الجميل. لن يعرف احد ولا حتى هو تأثيره السحري عليها. لن يعرف احد شيئاً عن

بيتها الجميل الذي تراه كلما جلست قرب النبع. نوافذه مفتوحة ليدخل صوت الماء ورائحة الزهور. جلست هيلين تحلم لآخر مرة فقد عرفت انها لن تعود الى هنا. ليس هذا مكانها. انه مكانه هو. عليها الهرب من المكان ومن الرجل. هذا الرجل الذي يشكل تهديداً لحياتها التي رتبتها كما ارادت. وتهديداً للجدار الذي بنته حول عواطفها واحاسيسها.

عادت بالماء الى جيك. وشعرت بالراحة فقد انتهى العمل تقريباً. لكن كعادته افسد كل شيء.

«سناكل ثم نخرج الاشياء من المركب».

«الاشياء. اية اشياء؟».

«الفراش. واين تظنين أننا سننام الليلة».

«اليس في المركب؟».

«لا يا آنستي. عندما ندفع المركب الى الشاطىء لن يكون مستوياً ابداً. ولن تتمكني من قضاء ليلة مريحة في داخله».

«اذن ننام على الشاطىء».

«هل لديك مكان افضل يا آنسة؟ لا تخشي شيئاً. اؤكد لك انك ستكونين في مأمن على الشاطىء، كما كنت في مأمن داخل المركب».

«لكن العناكب التي حذرتني منها».

«انها لا تأتي الى هنا. لا تحب الرمال».

«وان امطرت؟».

«ايتها البلهاء. عندما نلتجىء الى داخل المركب، سنتدبر الأمر».

لم يعجبها وصفه لها بالبلهاء. لكن لا وقت للجدال. ثم ربما كانت غبية بعض الشيء. بالطبع لن تحاول اقناعها، كان هذا ما يزعجها.

«ليتني لم أجيء الى هنا».

«حقاً؟ للأسف فات الأوان».

احست هيلين ان الجو بدأ يتوتر. ذهبت تحضر الطعام. على الأقل ستبتعد عنه ولو قليلاً. كم كانت رغبتها في رؤية هذه الجزيرة قوية. وجدتها اجمل بكثير مما توقعت. لكن هذا كل شيء. يجب ان ترحل الآن. المكان ليس مكانها. انها واثقة من هذا كما هي واثقة من رغبة جيك لوغان في رحيلها السريع.

لا بأس، ربما كان من النوع الذي يحصل على كل ما يريد. لكن لن تدعه يعرف. ليس الآن على الأقل. كان الحال قليب غضباً. ربما كان عليها الا تأتي.

تناولا الطعام على ظهر المركب. كان الطقس جميلاً. طلب منها جيك ان تبتعد وتتمسك جيداً لأنه سيدير المركب بأقصى سرعته لدفعه الى الشاطيء. وهكذا كان.

بدأ جيك بالعمل ثانية وطلب منها الابتعاد لأنه كما قال يفضل العمل وحيداً. انزعجت هيلين من لهجته لكنها لم تكن ترغب في الجدال. ليس وهو بهذه الحالة العصبية. ابتعدت عنه وشغلت نفسها بترتيب الفراش الذي رماه من ظهر المركب. ثم جلست واخذت تراقبه يعمل.

غلبها النوم وبعد وقت قصير استفاقت لتسمع جيك يقول:

«اتريدين رؤية غروب الشمس بعد عشر دقائق؟ ستكون

آخر فرصة لك. انتهيت من اصلاح المركب... تقريباً».

«حقاً؟». وقفزت واقفة. «عظيم».

«الآن، نعود غداً».

«اجل عندما تستيقظ».

ونظر اليها بطريقة جعلت قلبها يخفق بعنف. ولتغيير الموضوع قالت بسرعة:

«سأحضر الطعام. ماذا نأكل؟».

«سأصطاد سمكة ونشويها».

بسرعة وقبل ان تتحرك هيلين خلع السروال القصير. فقد كان يلبس المايوه تحته. وركض باتجاه الماء. راقبته هيلين بتعجب، مشاعرها مضطربة. شعره الأسود. ظهره الرائع، كتفاه العريضتان، عضلاته القوية، ما اوسمه!

غطس جيك في الماء وسارت هيلين تبحث عن مكان مناسب تراقب منه غروب الشمس الذي يقال انه رائع جداً في هذه البلاد. من الواضح طبعاً ان جيك لا يريد مشاهدته معها. ربما لم يكن يريد مشاركتها تجربة رومانسية كهذه. ولم تتوقع شيئاً كهذا وهو لا يستسيغ صحبتها؟

وجدت هيلين المكان الذي ارادته. كانت الشمس معلقة فوق الافق، بضعة اقدام فقط. كرة حمراء مضيئة وسط زرقة السماء الصافية. اقتربت هيلين اكثر من البحر وشعرت بالأمواج تتكسر على قدميها. اخذت الشمس تقترب من خط الأفق اكثر واكثر ويزيد لمعانها. خيوط ذهبية وارجوانية ملأت الفضاء وكأنها تشعله بنيرة تحد الحيرة.

سرت القشعريرة في جسم هيلين. ما اجمل الذي حدث في نهاية النهار. ثم استدارت لتجد جيك يقف قريبا. اظلمت السماء فجأة. ارتعشت هيلين. شبح جيك في العتمة طويل وقوي وها هو يمشي نحوها.

«هل كان كما تصورته؟».

كان صوته دافئاً هذه المرة.

«اجل. هل اصطدت سمكة؟».

لا ضرورة لمناقشة جمال الغروب معه... رد بالايجاب، وسارا باتجاه المركب. كانت هيلين تتنفس بصعوبة، لا لانها تسير بسرعة. لكن الجو حولها كان مثقلاً. شعورها بوجود هذا الرجل القوي الجذاب الى جانبها. ومجيئه المفاجيء، الى وجودها هنا على هذه الجزيرة المنقطعة عن العالم وحدها... معه. ابعدت هذه الافكار. انها العتمة بدون شك. لم تكن تعرف بعد، لكن قلبها كان يخفق بعنف. بينما كانا ينزلان درج المركب لمست ذراعه ذراع هيلين، فابعدها بسرعة. اذن هو ايضاً يشعر بالجو المتوتر.

كانت الحركة في داخل المركب صعبة فقد كان مائلاً قليلاً. تدبرت هيلين امرها ووصلت الى المطبخ. سمعت جيك خلفها يضحك ويقول:

«انه اسوأ مما تصورت. هل بامكانك الوصول الى الخزانة واحضار الصحون. ام افعل انا ذلك؟».

«بامكاني. اين السمكة؟».

كي يدخل جيك الى المطبخ كان على هيلين ان تلتصق

بالحائط لتفسح له المجال. ودون ان يعرف احدهما كيف حصل ذلك. كان الاثنان على الارض في كومة واحدة. احست هيلين به ملتصقاً بها. ثقيلاً ودافئاً. شعرت بالخوف. حاولت جهدها ان تدفعه عنها.

«انتظري قليلاً».

قال ضاحكاً:

«دعيني اجد قدمي اولاً. لا بد انها تحت ظهرك».

اخيراً استطاع جيك ان يقف ويساعد هيلين.

«هل بامكانك حفظ توازنك الآن؟».

سألها لكنه لم يبعد ذراعيه عن خصرها حتى اوصلها الى المقعد.

«ابقي جالسة. على الاقل تكونين في مأمن من السقوط هنا».

كان يلهث.

احضر هو الطعام ثم القهوة. بعد ذلك تكلم مع بيل عبر الراديو. بدا منزعجاً قليلاً لكن هيلين لم تعرف السبب لانها لم تسمع ما دار بينهما. نزلا الى الشاطئ، فقد اراد جيك ان ينام باكراً ليبدأ رحلة العودة مع طلوع الفجر.

«ان لم يكن باستطاعتك النوم الآن، امشي قليلاً فذلك يساعده».

قال بصوت منخفض ثم اضاف بعد ان رأى الفراش على الارض:

«من الأفضل ان ابعد فراشي قليلاً. قيل لي اني اتحرك كثيراً وانا نائم. لا اريدك ان تفسري الأمور خطأ».

كانت السخرية واضحة في لهجته. احست هيلين بالغضب لكنها اجابت بهدوء:

«وضعت الفراش هنا فقط لأبعده عن الماء. تعرف اني لا ارغب في النوم الى جانبك».

وانحنت لتبعد الفراش. سبقها هو الى ذلك فأبعد فراشه والقى بنفسه عليه.

تركته هيلين لينام واخذت تمشي على الشاطىء. كانت مسرورة لأنها ستعود في الصباح. ولن ترى هذا المكان ثانية. لن تخبر جيك الا في الوقت المناسب كي لا يبعث الشكوك في نفسها طريقته الساخرة. جلست على الصخور المواجهة للبحر. ما اجمل هذا المكان. لن تنسى هذه الرحلة الغريبة ابداً.

كان جيك يغط في نومه عندما رجعت هيلين. استلقت بهدوء على ظهرها واخذت تراقب السماء المليئة بالنجوم. انه اجمل سقف يتمناه انسان.

لم تنم جيداً. كانت افكارها مضطربة. عندما استفاقت لم يكن الفجر قد طلع بعد. جيك ما زال نائماً. انها آخر ساعات تقضيها على هذه الجزيرة التي لم تكن يوماً ملكاً لها ولن تكون. جيك يبدو وكأنه جزء من هذا المكان، اما هي فلا، مكانها هناك في المدينة الكبيرة وفي مخزن الثياب الذي يملكه خالها فيليب.

انسلت هيلين بهدوء من فراشها. ستذهب الى البقعة المسحورة حيث النبع وحيث الحلم الجميل، بيتها الصغير

بشبابيكه المفتوحة على صوت الماء ورائحة الزهور. ستراه الآن في ضوء القمر وتودعه. مشت وكأنها تمشي في نومها.

سلام لذيذ ملأ قلبها عندما وصلت المكان. العش الهادىء وسط جزيرة العواصف هذه. وابتسمت لنفسها. لقد نجحت في اخفاء متعتها وحبها لهذه الواحة عن جيك. انه سرها الذي تنتصر به عليه.

مر الوقت وهيلين غائبة في احلامها الجميلة. لم تقدر على مفارقة هذا السحر كله ولا مفارقته. وللحظة ظنت انها سمعت صوتاً بعيداً يناديها. تذكرت قصة الجنية وارتعشت. ترى اتسحبها الى البحر لتختفي في عمقه...

«ولماذا لا تجيبين عندما اناديك؟».

وتمزقت احلامها الحلوة. كم كان صوته قاسياً. رفعت وجهها لتراه واقفاً بقامته الطويلة والماء يقطر من شعره وكل جسمه. وقفت ببطء شديد وبدأت تمشي بعيداً عنه. كانت نصف غائبة ولم تكن تعي مدى غضبه وانفعاله.

سألته وظهرها اليه:

«ماذا تقصد؟ كنت اجلس فقط...».

«وانا كنت اصرخ واناديك. صحوت ولم اجدك فانتظرت، وانتظرت. ثم ناديتك بعد نصف ساعة، ولم تجيبي. ذهبت الى المركب ابحث عنك، وغطست في البحر ابحث عنك. خفت ان تكوني...».

كان غضبه يزداد مع كل كلمة.

«وهل يهمك امري؟ ظننتك تريد التخلص مني بأية

وسيلة!».

قبض جيك ذراعها حتى غرزت أظافره في لحمها:

«لا تكوني حمقاء».

ضوء القمر على وجهه مكنها من رؤية قطرات الماء المنسابة فوق صدره وذراعيه. أحست برجفة وانتزعت ذراعها من قبضته.

«لا تلمسني، كم مرة قلت لك لا أحب أن تضع يدك علي، ألا تذكر؟».

«أذكر وأذكر أشياء كثيرة عنك. أشياء لن تتصوري يوماً أني أعرفها. يا لغبائي. صدقتك وصدقت دموعك الخادعة في الليلة الأولى».

وجن جنون هيلين. يظنها كانت تمثل إذن، تكذب.

«دعني أذهب».

لكنه اعترضها ومنعها من المرور.

«هيا... هيا لم تقولي ليلتها أنك لا ترغبين النوم في حجرة واحدة معي. لم تكن هناك ضرورة لتمثيل تلك الدراماتيكية...».

لم تدعه يكمل حديثه واندفعت نحو الغابة لكن جيك أمسكها بكتفيها صارخاً:

«خفت، هه؟ لأني فهمت أنك...».

ركلته هيلين بكل قوتها فأطلق صرخة ألم:

«أيتها الـ...».

«قلت لك لا تلمسني!».

وأعماها الغضب فأخذت تضربه على صدره بكل ما لها من قوة. وبدلاً أن يغضب لف ذراعيه حول خصرها وحاول الاقتراب. لم تعد هيلين تتحمل. جن جنونها وأغرزت أظافرها في وجهه بيأس شديد. سمعته يشهق لكنها لم تهتم. لم تعد تهتم لشيء. وصرخت به:

«حقير، وحش. كم أكرهك».

وركضت كالمجنونة بين الأشجار. كالعمياء. كان خوفها منه كبيراً.

بعد خطوات قصيرة كان يلهث خلفها يمد ذراعيه ويمسك بها. نظرت إليه بذعر شديد وقالت:

«هيا... هيا. اضربني ولننته من الأمر... لا أقدر على أكثر... هيا اضربني...».

توقفت عن الكلام فقد غلبتها دموع ودموع.

لم يقل شيئاً. رفعت هيلين رأسها وتطلعت إليه. رأت في وجهه شيئاً لم تره من قبل. وجاءت المعرفة مثل وخز الإبر: تحبه! الجنون بعينه، لكنها تحبه!

همس جيك برقة:

«يا إلهي! لا بد أني جننت».

وركض نحو الماء وغطس فيه.

قالت لنفسها بمرارة: «كم يكرهني... كم يرغب في رحيلي».

في اليوم التالي ذهبت هيلين لزيارة هانا. كانت قد نامت ليلة عودتها من الجزيرة ثلاث عشرة ساعة متواصلة. لحظة دخولها

رمقتها هانا بنظرة غريبة وسألت:

«هل انت بخير؟».

«بخير. شكراً».

اجابتها هيلين.

«اقصد... اقصد على الجزيرة... هل حاول الرجل؟».

عندها فهمت هيلين. نظرت الى المرأة والى التعبير القلق على وجهها.

«تقصدين جيك؟ هل حاول شيئاً معي؟».

وجدت هيلين الأمر مضحكاً فقط لو كانت تستطيع الضحك الآن.

«اعلم ان الأمر لا يعنيني. لكن بما انك لا تعرفين الرجل جيداً. ومع ما قالته مارشا...».

«مارشا؟ لا افهم».

وهزت هيلين رأسها بحيرة.

«كانت تتسلى وهي تتصور موقف جيك منك وانتما وحدكما على تلك الجزيرة المهجورة».

«يا الهي. بالطبع لا. كان مهذباً جداً. اعني على طريقته في التهذيب».

ظهر الارتياح على وجه هانا. او هل كان هناك بعض خيبة امل؟

«قلت ذلك لبيل. قلت له انك تعرفين كيف تعاملين جيك فانت فتاة من المدينة - لندن - تعرفين قصدي؟».

ثم قربت كرسياً من هيلين:

«اجلسي... اجلسي يا عزيزتي. سأحضر لنا شيئاً نشربه. عندها تخبرينني كل شيء».

قالت هانا ذلك وذهبت الى الثلاجة تحضر منها شراباً بينما كانت هيلين تراقبها بجمود ونوع من الحسرة. من الأفضل ان تترك الجزيرة باسرع وقت ممكن.

لم تر جيك لعدة ايام قضتها في السباحة والمشي وشراء الاغراض. ذات يوم التقت سيرينا والأولاد ودعتهم الى بيتها حيث جلست هي وسيرينا في الداخل وبقي الولدان يلعبان في الخارج. بينما كانتا تتحدثان سمعت هيلين صوت جيك. اضاء وجه سيرينا التي قالت:

«انه جيك يسأل الأولاد عني ويخبرانه اني معك في الداخل».

توترت هيلين قليلاً ولم تسترح الا عندما سمعت بابه يغلق.

قالت سيرينا بلطف:

«هيلين انت لا تحبين جيك؟».

«لا». اجابت هيلين. «ولا هو يحبني، لا بأس!».

«انه لطيف جداً. انا احبه. يهتم بي ويحبني كثيراً. وضع بعض النقود في المصرف باسمي. استطيع ان اسحب منها ما اشاء عندما اشاء».

«بالطبع».

اجابت هيلين. وبدا لا تريد ان تسمع اكثر. وقفت قائلة:

«سأذهب الى المطبخ احضر المزيد من الشراب وبعض البسكويت».

دخلت المطبخ واتكأت للحظة على الحائط محاولة استعادة

عدوتها ثم عادت بالشراب والبسكويت. تلك الليلة كتبت هيلين رسالة الى المحامي في ساو باولو.

بينما كانت تشتري بعض الاغراض من القرية صباح اليوم التالي التقت بيل. كان يوم السبت وتوقعت هيلين رداً من المحامي يوم الاثنين.

اخذ بيل منها الاغراض وحملها عنها قائلاً:

«هيا سأمشي معك حتى البيت. لدي اشياء اوضحها لك».

«ان كان بخصوص الرحلة الى الجزيرة فلا بأس. لا حاجة بك للاعتذار».

قالت هيلين ضاحكة.

«اشعر بذنب رهيب تجاه ما حدث. وقد تشاجرنا هناك. آثار اظافرك لا تزال على وجهه».

قال بانزعاج.

«لم تكن المرة الوحيدة التي تشاجرنا فيها. لن اكلم هذا الرجل ثانية».

تنهد بيل بأسى:

«من المؤسف ذلك، حقاً. فبامكان جيك ان يكون رائعاً».

«حقاً؟».

تساءلت هيلين ساخرة:

«اذا كان رائعاً لهذه الدرجة لم لم يتزوج سيرينا عندما اوقعها في المشاكل؟».

كانا قد وصلا البيت. فتح بيل الباب. وضع ما كان يحمله على الارض. كان الانزعاج بادياً على وجهه.

«سيقتلني ان عرف اني اخبرتك. لكن سأفعل. فأنا لا اطيق الاشياء التي تملأ رأسك عنه. ومعظمها خطأ اذا لم تكن كلها. الجميع يظن انه والد توني وهو يدعهم يظنون ذلك كي يحمي سيرينا منهم. عندما كانت سيرينا في الرابعة عشرة من عمرها وبدون ام لم يكن هناك من يوجهها. عاشت كما كان يحلو لها. وتعلقت بشاب هيبي اميركي من عمرها. اراد ان يتزوجها وبالفعل قاما ببعض المراسم الهيبية، وقبل ان يتمكنا من جعل زواجهما قانونياً قتل الوالد في حادث وتأثرت سيرينا كثيراً. فاخبرت والدك بالأمر ووعد بالمساعدة. بدأت الاشاعات تدور حول جيك. لم يكن احد يعرف بأمر الصبي الهيبي. ظنوا انه جيك لأن سيرينا كانت تلحقه من مكان الى اخر».

توقف بيل لحظة ليشعل غليونه كانت المفاجأة كبيرة على هيلين:

«بالطبع لم يهتم جيك لهذه الاشاعات وعندما طلب منه والدك المساعدة في موضوع سيرينا اخذ يهتم بها وبالطفل من تلك اللحظة حتى الآن. الآن ترين. لو عرف بعض الناس هنا ان الطفل ليس ابن جيك لضايقوا سيرينا كثيراً».

حاولت هيلين ان تعلق:

«لكني لم اكن... .».

لكن بيل قاطعها مكملاً:

«لا احد يعلم بذلك ولا حتى هانا. الكن اليس بامكانك ان تعرفي لماذا؟ الم تحزري بعد سر اهتمامه الكبير بها؟».

«هل تقصد انه يحبها؟».

ضحك بيل:

«لا! انه يراها كأخت صغيرة له. لكنه وعد والدك ان يهتم بها. وهو يفي بوعده لوالدك».

«والدي؟».

لم تفهم هيلين.

«الا ترين يا هيلين؟ لا احد يعرف. حتى جيك يظنني لا اعرف. ربما من اجل ذلك يريد ان تذهبي من هنا قبل ان يكتشف احد الحقيقة. جيك وحده يعلم بالسر. سيرينا اختك من ابيك. ماتت امها منذ بضع سنوات والآن ابوها - ابوك - ولم يبق لها سوى جيك وتوني!».

٨- المفاجأة

انتظرت هيلين ذهاب بيل قبل ان تستسلم لبكاء مرير. سيرينا اختها! غير معقول... لكنها الحقيقة. لم تكن صدفة اذن تلك الرابطة العفوية، الغريزية التي احست انها تشدها الى الفتاة اللطيفة الطيبة، سيرينا. حتى جيك نفسه والذي كانت تحبه احياناً يقف بينها وبين سيرينا لم يستطع تغيير تلك الاحاسيس التي كانت تحملها الى الفتاة.

في فراشها تلك الليلة، استعادت هيلين كل شيء. لم يكن جيك الوحش الذي تصورته، ليس فيما يتعلق بسيرينا على الاقل. كان يحترمها ويهتم بها فقط لأنه وعد والدها بذلك. لم تنم جيداً تلك الليلة لكنها عرفت تماماً ما ستفعل في الصباح التالي.

عندما اخبرها بيل ان جيك سيغيب عن الجزيرة لبضعة ايام، تشجعت هيلين واتصلت له برغبتها في الرحيل. شرحت له السبب. ليس كل السبب بالطبع فهي لن تكون حمقاء لدرجة اخباره انها وقعت في حب الرجل الذي لا يريد الا رحيلها.

ذهبت لزيارة هانا لابلاغها عن رغبتها في الرحيل. تحاشت اسئلة هانا فيما يتعلق بالاملاك التي ورثتها. كل ما افصحت عنه

كلا كلاماً مبهماً عن امكانية بيع حصتها لجيك. لم تكن لتخبر احداً عن خطتها الحقيقية.

يوم الثلاثاء قامت هيلين بحزم اغراضها، لم يكن لديها الكثير، الشيء الوحيد الذي ستأخذه معها من هذه الجزيرة الى جانب حاجاتها الشخصية، صورتان لوالدها اخذتهما من هانا.

قبل ان تأوي الى فراشها تلك الليلة الاخيرة كتبت رسالة قصيرة ومباشرة لجيك. ثم قامت الى صندوق حلاها واخرجت منه سلسلة ذهبية كانت امها قد اعطتها اياها عندما كانت هيلين طفلة.

قبل ان تقفل الرسالة قرأتها مرة اخيرة:

«جيك، انا عائدة الى انكلترا في الصباح. طلبت من المحامي في سانتوس تحويل حصتي في الارث اليك. قبل ان [illegible] معك بصحبة [illegible] احببتها كثيراً وارغب في مساعدتها. ارجوك ان تعطيها هذه السلسلة. كنت احتفظ بها منذ طفولتي.

هيلين كاربنتر»

اقفلت الرسالة ووضعتها تحت باب بيته.

صباح اليوم التالي ذهبت هيلين الى هانا لتودعها. كان بيل سيأخذها الى المطار الصغير حيث تطير الى سانتوس. قبلتها هانا قائلة:

«سأفتقدك. كنت كنسمة منعشة بيننا. ستكتبين؟».

«بالطبع! انت ايضاً يجب ان تأتي لزيارتي في لندن يا هانا. كان بودي لو ابقى اكثر لكن... اعرف ليس هذا

مكاني...».

توقفت، انها على وشك ان تنهار، كل هذا بسبب رجل واحد...

ابتسمت هانا بلطف، وبرغم كل المرارة التي تحملها لجيك، كأنها فهمت، فقد ضغطت على ذراع هيلين بحنان.

«اعرف يا عزيزتي. اعرف».

في الطائرة، حاولت هيلين ان تستريح لكن افكارها لم تسمح لها بذلك. ترى هل استلم الخال فيليب برقيتها؟ هل سيكون بانتظارها في مطار لندن. اذا لم يكن ستذهب الى البيت في سيارة أجرة. عليها العودة بسرعة الى بحر العمل، الى حياتها السابقة. كان مجيئها الى هذه الجزيرة بين [illegible] لكن لا [illegible] انتهى كل شيء الآن. [illegible] نفسها انها [illegible] ثانية ولن تسمح لأي شيء او اي شخص باقلاقها بعد اليوم... ليس لوقت طويل على الأقل. اذا قدم لها جيك لوغان شيئاً ايجابياً فهو انه حررها من عقدتها القديمة وعدم قدرتها على الشعور بالراحة في حضور اي رجل كان.

حاولت هيلين الهروب من افكارها. تطلعت من نافذة الطائرة الى السماء الزرقاء الصافية. لكن المرارة... وشيئاً من الحزن لم يتركاها لحظة.

كان الخال فيليب في انتظارها على ارض المطار. وفي اللحظة التي جلسا فيها في سيارته الرولز الرمادية نظر اليها قائلاً:

«هيا، انطقي ايتها السيدة الصغيرة!».

نظرت هيلين اليه وشعور بالذنب يملأها. خالها العزيز يتزنه

الرمادية، وقميصه الابيض المكوي جيداً، دائماً مثال الاناقة. ودائماً دعاية حيّة للمتجر الضخم الذي يملكه. لكن برغم ملابسه الانيقة الرسمية لم يكن يوماً متشنجاً. في الخمسين من عمره كبير الجسم. اصلع قليلاً، يمشي في الحياة بكل هدوء ورزانة مبعداً عنه كل توتر وانزعاج متظاهراً بعدم وجود مبرر لتعقيد الحياة.

«اكتفيت من الحياة على جزيرة استوائية. هذا كل شيء».

اجابت متصنعة الخفّة.

«هل لي سيكارة؟».

«لا. انت لا تدخّنين، ولن تبدأي الآن. وان كنت تظنين جوابك هذا يكفيني فأنت مخطئة يا عزيزتي. من هو او ما هو؟ ثم بامكاني ان اضيف انك تفجرين صحة وعافية. وهذا اللون البرونزي سيقهر كل العارضات بجانبك كزهور باهتة».

ابتسمت له هيلين بحياء. واضاف قائلاً:

«في اية حال ستكونين ضيفتي لبضعة ايام تخبريني خلالها عن كل شيء؟».

«ليس هناك الكثير».

قالت هيلين وتطلعت من نافذة السيارة. رمقها خالها بنظرة قلقة لم تنتبه لها.

في اليوم التالي، وكان يوم سبت، اليوم الذي يذهب فيه الخال فيليب لممارسة لعبة الغولف عادة، جلس في غرفة الطعام المطلّة على نهر التيمز وقبالته جلست هيلين.

«لقد قررت ان ابقى اليوم في البيت احتفالا بابنة اختي

العزيزة. ربما نخرج لنتناول الغداء معاً. ما رأي عزيزتي هيلين في هذا؟».

عرفت هيلين سبب رغبته في الخروج معها الى احد المطاعم. هناك يظن انها ستتكلم وتخبره بكل شيء. مهما يكن فلا مبرر لابقاء كل شيء في داخلها الى الأبد.

افترّت شفتاها عن ابتسامة خفيفة وقالت:

«لا سبب لأن تدعوني الى الغداء في مطعم. سأخبرك بكل شيء، هنا. معك حق، اشياء كثيرة حدثت ولك كل الحق في معرفتها، لكن ارجوك يا خالي...».

كانت هيلين على وشك البكاء لكنها اكملت:

«ارجوك هل يمكن ان ننسى كل شيء بعد ذلك؟ اقصد الاشياء التي سأخبرك عنها».

«يا فتاتي العزيزة».

قال والاهتمام باد على وجهه:

«ان كنت لا تريدين اخباري او تشعرين بعدم القدرة على ذلك... اوه... انا لست سوى عجوز فضولي. لا بدّ انه رجل ما... من يكون؟».

«جيك لوغان».

وسكبت لنفسها فنجاناً من القهوة ويدها ترتجف.

«سأبدأ من الاول. هناك الكثير الكثير».

قاما من غرفة الطعام وذهبا الى مكتبة الخال فيليب الدافئة والمليئة بالرفوف المكتظة بمختلف انواع الكتب. هناك اخبرته هيلين بكل شيء، تقريباً كل شيء، منذ لحظة وصولها الجزيرة

الى ان ودّعها بيل واستقلّت الطائرة.

بعد ان انتهت من الحديث، نظر اليها الخال فيليب والذي كان يستمع بانتباه شديد وبدون اية مقاطعة، وقال:

«اتعلمين؟ لقد احسستُ بشيء ما في رسالتك، وبالمناسبة ارسلت لك رداً قبل يومين من وصولك، يا عزيزتي لم اكن اتصوّر كل هذا عندما انهلت عليك بأسئلتي! عزيزتي المسكينة».

تطلع اليها بعطف وقال:

«من الأفضل ان تنسي هذا الحبك لوغان بسرعة».

ثم قطب حاجبيه كمن يحاول تذكر شيء ما.

«لوغان- لوغان- هل قلت انه استرالي؟».

«لهجته توحي بذلك، ثم اظن ان بيل او هانا ذكرا شيئاً من هذا امامي».

ورفعت هيلين يدها الى رأسها.

«وهل يهمّ ذلك؟».

واطلقت ضحكة عصبية:

«حدسك صحيح... اذكر عندما رأيت تلك اللقطة الفوتوغرافية وهو على مركب والدي، وظهر كأنه يحاول اخفاء وجهه من الكاميرا، ظننت انه مجرم هارب...».

وصمتت فجأة.

انفجر الخال فيليب ضاحكاً:

«هذا مثير. احب ان ارى تلك الصورة يوماً ما. لدي شعور غريب».

ورغم حيرة هيلين لم يشأ الخال فيليب الافصاح اكثر.

عادت هيلين الى الروتين السابق لحياتها مع فرق واحد هو ان زميلاتها اكثرن من الحديث عن التغيير الذي لاحظنه فيها. ليس فقط لونها البرونزي ولا شعرها الجميل الذي اضافت اليه شمس الجزيرة لمعاناً جديداً، بل كما قالت لها احدى زميلاتها ذات يوم:

«انه التماع داخلي، لمعان ما... جديد يا عزيزتي- اخبريني كيف حصلت عليه وسأحاول ان افعل الشيء ذاته».

لكن بالطبع لم تستطع هيلين اخبارها انه كله بسبب ذلك الرجل الغريب واطواره غير العادية. لن تخبر احداً بل لن تستطيع حتى لو رغبت في ذلك. ويرغم حماس هيلين المتجدد للعمل الا ان الشعور الوجيع بالفراغ كان يلازمها، وكانت تعرف انها لن تقوى عليه الآن، ربما، مع مرور الوقت.

الجانب العملي في طبع هيلين مكّنها من تنظيم اوقاتها وملأها بالعمل والنشاط، فلم يبق عندها وقت للتفكير او للتذكر. كانت تعرف انها لن ترى جيك لوغان ابداً، طيلة حياتها. والعلم تلك المعرفة ارادت ان تبكي. لكن لا لن يبكيها اي رجل بعد اليوم. هكذا قررت.

بعد مضيّ اسبوعين على رجوعها وبينما كانت تجلس امام المرآة الطويلة تضع اللمسات الأخيرة على وجهها قبل مواجهة الجمهور الكبير المنتظر في الصالة، سمعت الهمس المتبادل بين العارضات. كان الجميع في حمّى فاليوم حفلة عرض لأحدث ازياء جيرارد... هرج ومرج في الداخل مثل خليّة نحل بينها

كل ما يراه المدعوون هو اناقة الثياب المعروضة وسحر العارضات الجميلات.

وبالطبع في لحظة خروج العارضات الى الصالة يصبح الكلام صعباً الا ربما كلمة هنا او كلمة هناك بينما تعود احداهن لتخلع ثوباً وتلبس آخر. ومن الهمس الدائر عرفت هيلين ان هناك شخصاً غير عادي بين الجمهور. الجمهور المكوّن عادة من الكهول والعجائز. اقتربت هيلين، التي لم يكن دورها قد آن بعد للخروج الى الصالة من احدى زميلاتها وهي تغيّر ثوبها وسألتها:

«ماذا هناك؟».

«رجل في المقعد الخلفي . . . جهة اليسار، يا الله!».

نهضت هيلين وقررت ان تحاول رؤية ذلك الرجل الذي سبّب كل هذا الهرج بين العارضات. انتظرت حتى جاء دورها ثم اخذت نفساً عميقاً، رفعت ذقنها الى اعلى، وابتسمت الابتسامة الضرورية عند العرض، وبدأت مشيتها الانيقة المتعالية بين مقاعد المتفرجين.

سمعت هيلين المعلن يقول:

«هيلين تلبس احد اجمل . . .».

ولم تأبه لبقية الكلام. فالعارضة تنتظر سماع اسمها فقط. كانت قد بدأت تقترب من الوسط . . . بضعة خطوات انيقة، وقفة في الوسط مع حركة مثيرة ونظرة متعالية، ثم السير في الممر الطويل وهمسات الاعجاب تتعالى. بالطبع هيلين معتادة على كل ذلك. تجيب عليه بابتسامة دافئة، مدروسة، لا تعني شيئاً،

فقط تمرّن على تحريك عضلات الوجه. وبدأت بالعودة. في اللحظة التي استدارت بها حاولت ان تحوي الصالة كلها بلمحة سريعة. وكادت تهوي الى الأرض. غير معقول! مستحيل! الرجل هو جيك لوغان.

كيف عادت هيلين الى غرفة الثياب، ماذا فعلت بعد ذلك، لم تكن تعي شيئاً مما حصل.

رأت المسؤولة، الآنسة وجه هيلين الشاحب. فقالت:

«اجلسي يا عزيزتي. هل بك شيء؟».

وسكبت لها بعض الماء لتشرب.

شعرت بالدوار. هذا كل شيء، دقيقة واحدة واكون بخير.

ترى هل تخيلت ذلك؟ لكن الفتيات رأينه وتهامسن عنه! وهي رأته بوضوح شديد. كان يلبس بذلة فاتحة اللون وقميصاً ابيض يظهر لونه البرونزي، انه رائع خصوصاً هنا في جو لندن الضبابي. ما كان اجمله، السيكار في يده، وعيناه على المسرح.

لكن غريب! لم يظهر عليه انه عرف هيلين. واخذ توترها يشتد وهي تلبس ثوباً رمادياً من الحرير البارد وتعود الى الصالة.

كم تمنت لو تأخذ عارضة اخرى مكانها لكن العدد المحدود لم يكن يسمح بذلك. في الصالة لم تستطع هيلين مقاومة رغبتها في التطلع باتجاه جيك. كان المقعد خالياً. جيك لوغان قد ذهب. فقط دخان سيكاره ورائحته كأنما ليقولا لهيلين ان الأمر لم يكن حلماً.

لحظة انتهاء العرض، حملت هيلين حقيبتها وخرجت مسرعة غير مبالية بنظرات التعجب على وجوه زميلاتها. كانت تقصد

مكتب خالها فيليب في الطابق الأعلى. انه الوحيد الذي تستطيع التكلم اليه الآن.

سكرتيرة الخال فيليب، امرأة في اواسط عمرها لم تفقد الأمل بعد في أن يطلب الخال فيليب يدها للزواج، حاولت منع هيلين من الدخول قائلة انه مشغول. لم تعرها هيلين اي اهتمام واندفعت الى داخل المكتب دون ان تقرع الباب.

جيك لوغان كان يجلس في الكرسي الكبير المريح يشعل السيكار للخال فيليب بكل راحة. لحظة دخول هيلين تطلع الاثنان باتجاهها ثم وقفا. الكثير الذي كان لدى هيلين لتقوله اختفى. ولم تعد تقوى على الكلام.

اقترب منها الخال فيليب باهتمام:

«هيلين كنت اريد. . .».

لكن هيلين لم تكن تستمع له. استدارت الى جيك مستفسرة:

«ماذا تفعل هنا؟».

اقترب جيك. وقال بهدوء:

«جئت لأراك. هل تستطيع الذهاب الى اي مكان لنتحدث؟».

«لا».

ورفعت ذقنها الى اعلى بكبرياء:

«ليس هناك ما نتحدث عنه».

ثم قالت موجهة الحديث الى خالها:

«آسفة لدخولي عليك هكذا وبدون استئذان. لم اكن اعرف

انك مشغول. سأذهب الى البيت الآن. . .».

جيك اقترب منها وامسك ذراعها بلطف لكن بحزم:

«لا، لن تذهبي الا اذا ذهبت انا معك».

اعماها الخوف والغضب:

«خال فيليب. هل ستترك هذا الرجل. . .».

«اظن عليك الاستماع الى ما لديه. فالرجل قطع آلاف الأميال ليأتي ويراك. الا تظنين. . .؟».

عرفت هيلين انها لن تلقى المساعدة هنا. سحبت ذراعها من يد لوغان:

«اخبرتك من قبل، لا احب ان تلمسني».

تنفست بصعوبة:

«وانا اعني ما اقوله».

كانت عيناها تلمعان غضباً، وكانت اجمل من اي وقت مضى. كان ذلك واضحاً في عيني جيك ونظرته المليئة. لكن هيلين لم تر شيئاً من ذلك. بل اندفعت خارجة من المكتب. في طريقها الى الخارج سمعت بضع كلمات وجهها خالها الى ضيفه:

«اتركها الآن يا جيك. . .».

كانت هيلين مستلقية على سريرها في بيت الخال فيليب، عندما عاد لها رجع كلمات خالها الأخيرة. ناداه جيك. . . جيك فقط بدون كلفة وكأنه يعرفه جيداً. وانتفضت جالسة. انها لا تفهم شيئاً مما يدور حولها. ثم ماذا يفعل جيك لوغان هنا، في لندن؟ وللحظة احست هيلين بغصة ندم لتركها

المكتب بتلك السرعة. ربما كان عليها التروّي واخبار هذا الرجل برأيها الكامل فيه. وحش كريه! لكن لا . . . هذا ليس صحيحاً. وبرغم كل عواطفها الخارجية وانفعالاتها، عرفت هيلين ان تلك الرجفة في ركبتيها والخفقان المتزايد الذي داهمها عند رؤيته، لم يكونا سوى مؤشر لأحاسيسها الحقيقية الدفينة. انها تحبه! اجل تحبه!

قامت عن السرير. . . لقد جاء كل تلك المسافة وماذا فعلت هي؟ اعطته الانطباع بأنه من اكره الرجال في العالم كله. احست بالخوف. ماذا لو اختفى هكذا. . . فجأة. . . تماماً كما ظهر ماذا لو لم تره ثانية!

عصفت الفكرة هيلين فجمدت في مكانها. ثم ببطء ذهبت الى الباب وفتحته. على الاقل لتذهب وتعتذر من خالها. . . وربما تسأله ان كان. . .

بينما كانت تنزل الدرجات المؤدية الى الصالون فتح الباب الخارجي ودخل منه رجلان.

التقت عينا جيك بعينيها ورأى مشاعرها الحقيقية على وجهها. لم يحاول اخفاء احاسيسه رغم وجود الخال فيليب الذي احس بضرورة الانسحاب. وقبل ان يغلق باب الممر المؤدي الى المطبخ، استرق الخال فيليب نظرة اخيرة ليرى هيلين تكمل نزول الدرج باتجاه جيك الذي كان ماداً يده وكأنما ليأخذ يدها. رأى الخال شيئاً لا يوصف ولا يعبر عنه بكلمات يجري بين الاثنين. ابتسم لنفسه ابتسامة سرّية صغيرة واغلق الباب خلفه باحكام.

٩ - حالمتان

كان لدى الطرفين الكثير من الشرح والتفصيل. لكن الأهم من كل ذلك ان جيك عبر آلاف الأميال ليقول لهيلين انه يحبها.

ذات يوم كانا يجلسان في حديقة قريبة من بيت هيلين. جيك يحيط كتفي هيلين بذراعيه وكأنه لن يتركها تهرب بعد اليوم، وهيلين تنظر حولها بدهشة. لم تر يوماً بهذا الاخضرار، ولا السماء بهذا الصفاء حتى الهواء. . . ورفعت رأسها الى الرجل الأسمر الجالس الى جانبها:

«أليس كل شيء رائعاً! . . . كل شيء . . . كل شيء؟».

ابتسمت لها عيناه بحنان:

«من حيث اجلس. . . نعم».

«اوه جيك كم كنت قاسية معك!».

قالت وتنهدت.

«ليس بقساوتي انا معك. . . هيلين دعيني اشرح لك. انا. . .».

«اوه لا يهم، ارجوك».

ورفعت عينيها الواسعتين اليه:

«الا ترى؟ كل ما يهمني الآن انك هنا. حاولت التظاهر

بعكس ذلك لكن الواقع كان، اني احسست بتعاسة كبيرة منذ اللحظة التي تركت فيها الجزيرة، كنت اعرف او ظننت اني اعرف انك تكرهني. . . .».

«ارجوك يا هيلين، توقفي!».

قال بأسى شديد:

«لا تقولي شيئاً كهذا، يعذبني كثيراً اني عاملتك بتلك الطريقة البشعة. لكن الا ترين كنت احاول كبت غرائزي وكتم رغبتي الطبيعية في امتلاكك عندما كنا وحيدين على الجزيرة. انت نفسك قلت عني وحش في احدى لحظاتك الصريحة».

وافقت هيلين مبتسمة:

«واشياء اخرى كثيرة. كنت ايضاً اظن انك مجرم هارب. . . .».

«ماذا؟؟».

وبدأ يضحك.

شرحت له هيلين عن الصورة الفوتوغرافية وكيف ظهر وهو يرفع يده الى وجهه وكأنه يحاول اخفاءه، عندها انفجر جيك بضحكة مدوية.

«فعلا هذا ما حدث، لكن ليس بسبب ذلك ايتها الصغيرة البلهاء. . .».

قال الكلمتين الاخيرتين بتحبب:

«ربما استطاع خالك فيليب شرح الأمر افضل مني؟».

عندها تذكرت هيلين التعبير الغريب على وجه الخال فيليب

عندما ارته الصورة:

«لا. . . بل الآن انت تفسر لي كل شيء».

«حسناً يا آنستي. منذ خمس وعشرين سنة وعندما كنت انا في السادسة من عمري هاجر والداي الى استراليا حيث باشرا العمل هناك ونجحا في فتح عدة مخازن كبيرة. والدي من عمر خالك فيليب تقريباً. كانا صديقين حميمين وكانت بينهما منافسة شديدة في العمل. بقيا على اتصال لفترة ثم انقطعا. عجباً لربما يعود الاتصال بينهما».

وضحك ضحكة ذات معنى.

«لا اصدق. . .».

همست هيلين.

«انها الحقيقة، اقسم لك».

«والصورة؟ ما علاقتها؟».

«آه. منذ عشر سنوات قررت ترك البيت والعيش وحدي. وحصلت مشاجرة بيني وبين والدي بسبب قراري. واقسمت وقتها ان لا اعود الى البيت الا بعد ان اتدبّر اموري. . .».

ثم هز كتفيه متابعاً:

«اما بالنسبة الى الصورة. . . لا شيء مهمّ. فقط لديّ كره طبيعي للوقوف امام آلة تصوير. على كل حال الآن سأكتب لوالدي واصالحه. انا متأكد من انه يرغب في مقابلة خطيبة ابنه الحسناء. اليس كذلك؟».

«انا لم تقل لي. . .».

بدأت تتكلم ببطء، قاطعها جيك:

«طبعاً ستفعلين. لست بالسواد ولا البشاعة التي صوروني
بها امامك. ليس فيما يتعلق بالنساء على الأقل. أما
مارشا . . .».

«أظنني اعرف» اجابته «هل كانت تلاحقك؟».

«اجل وجعلت الامر واضحاً. اخبرتها بصراحة انني لا
اقترب من النساء المتزوجات. اما سيرينا و. . .».

«عزيزي جيك . . . كم انت مظلوم».

اقترب منها جيك:

«اتشفقين عليّ؟ احب ذلك».

واقترب منها اكثر. ابتسمت بمرح وابتعدت عنه قليلاً لكنها
قالت:

«اوه جيك . . . كم احبك . . . احببتك حتى عندما كنت
اتخيّل انك وسيرينا . . .».

«اعرف. اخبرني بيل بكل شيء. انه رجل طيب. هيلين
اتذكرين كل تلك الملاحظات عن النواويس الداخلية
وغيرها . . . كنت فقط اشعر بالمرارة لاعتقادي بأنك اتيت الى
الجزيرة لأخذ ما تستطيعين اخذه. وكان والدك قد اخبرني عن
دفعه كل تلك الاقساط الخيالية . . . .».

«ماذا؟».

لم تصدق هيلين ما سمعت.

«ماذا تعني؟».

واحس جيك بالحرج:

«ألم تخبرك امك عن ذلك؟ هيلين انا آسف. كم كنت

وحشاً . . .».

«لا تقل ذلك».

وهزت رأسها قليلاً:

«الآن بدأت افهم. امي وانا قلّما نلتقي . . . وانني آسفة
على ذلك. هي اعطتني تلك السلسلة الذهبية عندما كنت
صغيرة. وعندما رأيت السلسلة التي كنت انت تضعها وكانت
مماثلة لها تماماً. عرفت انها من والدي، واحسست برغبة في
اعطاء سيرينا السلسلة التي معي».

ونظرت الى يديها بتأمل ثم قالت:

«آه يا جيك . . . كم احترق لمعرفة اشياء كثيرة عن والدي
ستخبرني انت، انت عرفته واحببته. يوم كنا على جزيرة
العواصف. احسست لأول مرة اني في بيتي في ذلك المكان
الجميل، بالفعل في بيتي لأول مرة في حياتي».

قال بهدوء:

«والدك كان يخطط لبناء بيت صغير هناك يا هيلين لكنه مات
قبل ان تباشر العمل . . .».

نظرت اليه هيلين والدهشة تملأ وجهها:

«لقد عرفت . . . انا رأيت البيت رأيته هناك بجانب النبع،
كلما جلست قربه كنت اتخيّل البيت الصغير. لذلك لم اكن
احب ان تراني هناك. كان المكان يخصني وحدي!».

ضحك جيك:

«سنبني البيت معاً يا هيلين وسنذهب اليه وحدنا. نمضي فيه
اسابيع حلوة، انا ارسم . . .».

«ترسم؟ انت ترسم؟».

نظر اليها فجأة وبحرج.

«ألم تري ابداً لوحة للوغان؟».

«لوغان؟ يا الهي! هل أنت. . .؟».

«نعم ان كان باستطاعتك تحمّل فنان كروج؟».

«اوه جيك. . . حبيبي جيك. عندي لوحة لك في شقتي لكنها نسخة. لم استطع شراء الأصل. . .».

قال بحنان:

«الآن يكون لك الأصل. . . اصل الأصل، لوغان بنفسه. استطيعين تحمّل ذلك؟».

«نعم. . . طبعاً، حبيبي. . . ارجوك. . .».

ولم تتمالك نفسها. رفعت وجهها الى وجهه وطارت حمامتان عالياً. . . عالياً في سماء لندن الصافية!

روايات عبير

HARLEQUIN – "ABIR" – No. 78

القرصان

الفارق بين المدينة والأرض العراء كالفارق بين الحلم والواقع بالنسبة الى من لم يذهب في حياته الى امكنة بدائية ما زالت تحافظ على عذريتها . . .

لذلك عندما ذهبت هيلين لترى ما تركه والدها الفنان الراحل في جزيرته البعيدة، وهي لم تعرفه ولم تره ابداً، وجدت عالماً ساحراً ينتظرها، لكن رجلا يدعى جيك لوغان كان لها بالمرصاد. سمعته السيئة وشكله الرهيب وعلاقته الغامضة بوالدها، جعلت رحلتها قاسية ودفعتها الى الفرار من الجزيرة . . . عائدة الى لندن . . .

لكن القرصان لا يتركها تنسَ في عملها كعارضة ازياء، بل يظهر في لندن ليقول شيئاً . . . ماذا يريد منها، ومن هو هذا الرجل القاسي؟